ارسين لوبين

الطائرة المحترقة



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الرواية المعرّبة

الطائرة المحترقة

(٤٥)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه – لبنان

تلفون : 131 902 9 961 00

فاكس : 939 902 9 961 00



- ١ -

كان الضباب كثيفا منخفضا ، تطفو فوقه رؤوس أعمدة التليفون كالرماح المشرعة وسط سماء مظلمة إلا من ومضات النجوم ، راسمة معالم الطريق الممتدة في تلك المنطقة من الريف ، المليئة بالمستنقعات .

غير أن منزلا واحدا كان يشذ عن هذه القاعدة .. وهو منزل لايختلف في شيء عن أمثاله من أكواخ تلك المنطقة ، إلا في أن ضوءاً باهتا كان يشع من إحدى نوافذ حجرات الطابق الأسفل منه في مواجهة الطريق.

وكان يضيء الحجرة مصباح صغير وضع على المائدة ، فبدت معالمها في ضوئه واضحة جلية .. غير أنها لم تكن تتسق ومظهر الرجل الجالس فيها .. كان كل ما بها عتيق الطراز وتزين جدرانها صور دينية وآيات من الإنجيل ، مما يدل على أن صاحبها كهل من رجال الدين ، أو عجوز من العوانس .. بينما كان شاغل الحجرة يلوح في شرخ الشباب ، عصري المظهر .

وكانت مصاريع النافذة مفتوحة رغم ذلك الضباب الذي كان ينساب

منها إلى الحجرة كدخان خفيف .. ولكن الرجل كان من الاستغراق في عمله بحيث لم يبال به .. وكان يرتدي سراويل قديمة رمادية اللون ، وصدرة من الصوف كان لونها ابيض يوما من الأيام ، ويضع فوق كتفيه معطفا من المشمع الواقي من المطر حال لونه .. وكان قميصه مفتوحا غير أن بنيقته كانت فوق المنضدة بجوار الموقد وداخلها رباط الرقبة .

وفي تلك اللحظة هب الكلب من رقاده بغتة وراح ينبح نباحا عاليا ، تبعه بزمجرة مخيفة .. فاسرع الرجل إلى الحجرة حيث وجد الكلب واقفا بجوار النافذة تنثال من فمه تلك الزمجرة المتصلة اشبه بالسباب أو الوعيد .. فصاح به في جذل :

– صه ايها الوغد .. ماذا دهاك .. هل هناك من يقترب من مملكتنا الصغيرة.. صه .. فما استطيع ان اسمع شيئا وسط هذه الضجة الحمقاء ..

كف الكلب عن النباح في جهد خارق ، وراح ينظر إلى صاحبه بعينين يملؤهما العتاب .. غير انه كان في شاغل عنه وقد وقف بلا حراك في النافذة وراح يرهف السمع من جديد .

ولكن الصوت لم يتكرر ثانية . وخيل إليه أن الصيحة الثاقبة التي سمعها لم تكن صيحة استغاثة بقدر ماتشبه نداء رجل رجلا آخر ليخبره انه عثر على شيء ما .. ولكن من ذا الذي يبحث عن شيء في منتصف الليل ، وفي طريق يكسوها الضباب السميك ..

وفي تلك اللحظة وقع شيء لم يكن في الحسبان .. وكان وقوعه مفاجئا بحيث ظل لحظة حائرا مبهوتا يقلب نظراته في ارجاء الحجرة، على حين عقلت الدهشة لسان كلبه عن النباح ..

فقد دوى بغتة صوت تحطيم زجاج في عنف وشدة ، وتلاه صوت ارتطام شيء صلب بالجدار المقابل للنافذة .. فلما افاق الرجل من دهشته تبين ان قطعة كبيرة من الحجر قد حطمت الزجاج الأعلى ثم ارتطمت بالجدار وسقطت في ارض الحجرة .. وانقلبت الدهشة

غضبا ، فمضى إلى النافذة وصاح :

- أين هذا الوغد الذي فعل ذلك ..

ثم أسرع يجتاز الحديقة إلى الطريق ، باحثا عن " الوغد " الذي يقذف بالأحجار بيوت الناس في منتصف الليل ، وهو يرجو ان يجده رجلا قد استبد به الثمل بحيث لايدرك مايفعله . ولكنه لم يجد احدا .. وعاد ينادي من جديد فلم يجبه غير صدى صوته يتجاوب من بعيد ..

ولم يدر اي جهة مضى إليها قاذف الأحجار ، فإن الضباب الكثيف يجعله لايرى ابعد من انفه .. فراح يرهف السمع جيداً ، وعندئذ ادرك ان كلبه قد تبعه، ولكنه وقف مطاطئ الراس ساكن الحراك يتشمم الأرض في قوة .. فنظر الرجل إلى الأسفل ، فرأى امامه بقعة كبيرة داكنة اللون.. واشعل عودا من الثقاب ، وانحنى يفحص تلك البقعة ، ومالبث أن أطلق صفيرا خافتا من بين شفتيه ..

فقد كانت البقعة لاتزال دافئة لزجة .. كما كانت قانية اللون ، بحيث لايخطئ معرفة كنهها .. كانت بقعة من الدماء .

وبدأ كلب الصيد يزمجر فجاة ، وما لبث صاحبه أن سمع صوت محرك سيارة ينبعث من بعيد خافتا ، ثم يزداد صوته اقترابا في بطء شديد ..

فاسرع الرجل إلى الحديقة ، واوصد باب السياج ثم ارتكز عليه بمرفقيه ووقف ينتظر ، وقد ادرك بغريزته ان لتلك السيارة التى تشق طريقها وسط الضباب علاقة وثيقة بذلك المجهول الذي قذف النافذة بقطعة الحجر ، ثم اختفى في احشاء الليل البهيم فجاة كما ظهر فجاة.

وبدا مصباحا السيارة خلال الضباب ، وما لبث ان وقفت امام البوابة دفعة واحدة .. وسمع الرجل اصواتا تعلو على صوت المحرك ، ثم سمع صوت فتح باب السيارة وغلقه ، ووقع اقدام تقترب من البوابة ..

كان القادم موشكا أن يضع يده فوق السياج عندما راى وهج لفافة

على قيد اصبع من وجهه ، فتراجع إلى الخلف مذعورا .
وعندئذ ابتدره صاحبنا قائلا بلهجته المرحة :
– طابت ليلتك .. هل يمكنني ان اسدي إليك خدمة ما .. ؟
وقبل ان يسمع جوابا ، كان باب السيارة يفتح ويغلق من جديد ، ووقع الاقدام يقترب من البوابة من جديد .. ولكن القادم هذه المرة كان يحمل مصباحا كهربائيا في يده ، القى بضوئه فوق وجه نزيل الكوخ، ثم هبط به حتى قدميه ، متمهلا لحظة عند اليدين الملوثتين بالزيت ، والسراويل القديمة القذرة ..
وقال القادم في اقتضاب : هل انت هنا منذ زمن طويل يا صاحبي ..
وابتسم الرجل في الظلام ، فقد خدع القادم من مظهره وظنه من العمال .. وما لبث ان اجاب بلهجة اهل الشمال :
– لماذا ؟ .. في موسم الكريز القادم اتم ثلاثين عاما هنا ..
– لست اعني ذلك .. هل كنت تقف بجوار السياج منذ زمن طويل ..
تم تحول والقى امرا سريعا على رجل كان يقف بجواره ، فمضى هذا نحو السيارة حيث أوقف المحرك ، علي حين كان صاحبنا يجيبه :
– ربما منذ خمس دقائق .. ربما اكثر من ذلك .. لماذا تسال .. ؟
– هل رايت رجلا يمضي في هذه الطريق .. ؟
– اجل .. " جافير شيبشانك " الشيخ .. وكان ثملا يترنح ، وذلك حوالي السابعة .
فصر الآخر على اسنانه غيظا ، وقال :
– لست اعني ذلك .. ولكن منذ هنيهة .. وفي هذه الدقائق الأخيرة ..
– كلا .. لم ار احدا .. ولكن اي رجل تعني .. ؟
– اصغ إلي أيها الرجل .. هل هذا كوخك ..
– إنه كوخ أبي ..
– وأين هو ؟ .
– لقد ذهب اليوم إلى " نورووتش " ..
– إذن فانت بمفردك الليلة ..

– تماما .. يامستر ..

وعندئذ قال " إميل " في شيء يشوبه الوعيد :

– هل انت واثق من ذلك تماما .. ؟

– بلاشك .. هل تظنني معتوها ..

وومض المصباح الكهربائي مرة اخرى فراى على ضوئه مسدسا كبيرا مصوبا نحوه ، على حين قال الآخر :

– تعال إلى الداخل .. هيا سريعا فإني في عجلة ..

فلما احتوتهما الردهة استطرد الطارق قائلاً :

– ماذا صنعت بالرجل الذي جاء إلى هنا منذ قليل ؟ ..

– لقد اخبرتك بانني لم ار احدا قط .. ولعل من الأفضل ان تلقي بهذه اللعبة جانبا فربما انطلق الرصاص من تلقاء نفسه ..

جلس نزيل الكوخ في مقعد كبير بجوار الموقد ، وراح يربت راس الكلب ولكنه كان في الواقع يحاول ان يخفي رباط رقبته الموضوع على المنضدة بجانبه ، إذ لم يكن من المستساغ ان يكون من النوع الفاخر ، وعليه اسم احد متاجر لندن الشهيرة ، بينما يبدو هو في زي العمال من اهل الشمال .

وبدا له ذلك الرجل المسمى " إميل " اجنبياً وإن كانت لغته الإنجليزية لاتشوبها شائبة .. كما ان ثيابه كانت بالغة الاناقة وفي إصبع يده اليسرى خاتم ثمين ترصعه ماسة زرقاء نفيسة .

– اصغ إلي يامستر .. لقد سئمت حماقتك ، وهاك المنزل ففتشه إذا شئت، ثم ارحني من وجهك الكئيب ..

ولكن " إميل " لم يعره التفاتا .. وهوت يده بالمسدس إلى جانبه .. كان وقتئذ يحملق في النافذة المكسورة ، وفي قطعة الحجر الملقاة في وسط الحجرة .. ومالبث ان قال في بطء :

– متى حدث هذا .. ؟

– وما شانك به انت ؟

فصاح به ملوحا بالمسدس : صه ايها الأحمق ..

ثم انحنى فالتقط الحجر ، وراح يفحصه ويزنه بيده ..

وعندئذ تحول إلى الآخر وراح يتفرس فيه بعينين سوداوين عميقتين وقال:

– متى حدث ذلك .. ومن الذي القى بهذا الحجر على النافذة ..

فتردد الرجل لحظة يسيرة ، ولكنه عول على أن يقول الحقيقة ، فقد يساعده ذلك على إلقاء ضوء على ذلك السر الذي كان يزداد كثافة لحظة بعد اخرى :

– منذ عشر دقائق .. وهذا هو الذي جعلني اخرج إلى السياج ..

فحدجه " إميل " بنظرة قاسية ، وقال :

– هكذا .. وهل لم تجد الرجل الذي قذف بالحجر .. ؟

– لا ..

ومضى " إميل " إلى النافذة وهتف يدعو رفيقه ، ثم انتحيا ركنا وراحا يتحدثان طويلا في صوت خافت بالألمانية ، لم يسمع منه نزيل الكوخ إلا هذه العبارات " ريفي غبي " و " نضيع وقتنا " وكان من الجلي انه استطاع ان يضللهما حتى اعتقدا انه من عمال الشمال .. ولكنه كان بعيدا كل البعد عن معرفة حقيقتهما .. واخيرا سمع احدهما يقول:

– " الأفضل أن نتحقق من الأمر " .. ترى ما الذي يبغيان التحقق منه..

ولم ياخذا رايه ، فقد مضى الآخر يفتش حجرات المنزل واحدة بعد الأخرى، وما لبث ان عاد فقال لـ " إميل " : لم اجد شيئا ..

فامره أن يفتش الرجل نفسه ، ولكن هذا تراجع خطوة إلى الخلف وهو يصيح:

– ماذا تريد ان تفعل .. وباي حق .. ؟

– ارفع يديك ..

واخيرا انتهى التفتيش .. وكانت ربطة الرقبة قد القيت في غير عناية فوق المائدة عندما أخرجها الرجل من جيبه .. ولكنهما لم ينتبها

إلى اسم المتجر المنقوش عليها واخيرا بدا الاقتناع على وجه " إميل " ، وأوما براسه مرة او اثنتين ، فعاد رفيقه إلى السيارة وادار المحرك ، على حين اخرج " إميل " حافظة نقوده وهو يقول :

– هل يمكنك ان تطبق شفتيك ياصاحبي .. ؟

واخرج ورقتين من ذات الجنيه ، فاجاب الآخر :

– إذا كان الأمر كذلك يامستر .. فلن يعلم احد شيئا .

– لقد فر احد المجانين من مستشفى خاص .. وهو الذي قذف نافذتك بالحجر .. ولذلك نبحث عنه ، ولكننا لانحب ان يعرف احد عن الأمر شيئا، وهاك مايكفي لإصلاح زجاجك ..

ووضع الجنيهين على الخوان فنظر إليهما الآخر في نهم وجذل ، بينما استطرد " إميل " :

– وسوف اعود من هذه الطريق بعد يومين او ثلاثة .. وساتحرى الأمر .. فإذا وجدت ان احدا لايعلم شيئا مما حدث ، فلك ثلاثة جنيهات اخرى .. اما إذا وجدت القوم على علم به ، فعندئذ .. كان الله في عونك.. هل تفهمني جيدا .

ونطق بهذه العبارة في هدوء عجيب جعل الآخر يتفرس فيه متعجبا، وقد ايقن ان امامه افعوانا ناعم الملمس شديد الخطر .. ومالبث ان اجاب :

– تماما يامستر .. لن اقول شيئا البتة ..

واسرع " إميل " يغادر الحجرة ، وبعد لحظة كان صوت السيارة يتلاشى رويدا وهي تمضي في طريقها ..

وراح يخاطب كلبه قائلا :

– ما معنى ذلك كله يا "جيري" بحق الشيطان ؟ ..

ونظر إلى ساعته فوجدها الواحدة بعد منتصف الليل ، فتمطى وعاد يقول للكلب :

– سوف نحاول حل اللغز في الصباح يا " جيري " .. اما الليلة ..

وامر الرجل كلبه ان يصحبه ، ثم اسرع يجتاز السياج ويمضي

مسرعا صوب الجهة التي مضت السيارة فيها .. وكان الضباب لايزال كثيفا حول الكوخ ، ولكنه بدا يخف رويدا كلما ابتعد عنه .. ولم يمض وقت طويل حتى بلغ مسمعه صوت السيارة من جديد ، فتمهل في سيره وراح يحاذر في تقدمه ويلتصق بالأعشاب النامية على حافة الطريق حتى لمح خلال الضباب الخفيف الضوء الأحمر الذي يشع من مؤخر السيارة كما سمع اصواتا مختلفة تتحدث في انفعال .

وراح يتقدم في حذر وخفة .. ولكنه لم يكد يدنو من السيارة حتى اطلق لها سائقها العنان ومضت تشق الظلام ثانية ، وعاد السكون يشمل المكان من جديد...

واخذ الرجل يتفحص الطريق وهو يعجب ما الذي وجده الرجلان في تلك البقعة بالذات وأطلقا الرصاص عليه ..

اهو الرجل الذي يبحثان عنه .. الرجل الذي يرجح ان يكون هو الذي قذف نافذته بالحجر ..

وعندئذ جاءه الجواب سريعا .. فعند حافة الطريق كانت بركة من الدماء الدافئة .. فغمغم قائلا :

- لقد نزف المسكين معظم دمه .. ولكن أين هو .. وعاد إلى كوخه وهو يضع يديه في جيبي سراويله ..

وكان يمعن التفكير في الأمر ويقلبه على مختلف وجوهه دون ان يجد له تفسيرا .. فلماذا لم يلجا الجريح إلى الكوخ مباشرة بدلا من ان يقذفه بالحجر، ثم يمعن في فراره اكثر من ربع الميل وهو يعلم ان هناك من يطارده.. وإذا كان لم يلجا إلى الكوخ لعلمه انهما سوف يفتشانه فلماذا قذفه بالحجر ؟ .. وما غرضه من ذلك .. ؟

واجتاز السياج ثانية ثم مضى إلى باب الكوخ .. وعندئذ وقف جامدا مكانه ، وقد ضاقت عيناه .. فإن الأشياء التي كانت فوق المائدة قد حركت من مواضعها .. والبندقية نفسها لم تكن حيث وضعها .. فمضى إلى المائدة في سكون ، وفتح درجها ، فوجد الدليل الحاسم على صدق شكوكه .. كان بالدرج بعض الأوراق الخاصة ، فالفاها

مفضوضة وقد نحيت جانبا .. إذن فقد كان بالحجرة شخص ما خلال ربع الساعة الاخير .. ومع ذلك فمازال الجنيهان في موضعهما فوق الخوان ومعنى ذلك ان الزائر لم يكن من اللصوص ، وإنما هو شخص ترك في ذلك الموضع ليراقب الكوخ ، فانتهز فرصة خروج صاحبه ليفتشه من جديد .. ولكن أين ذهب الرجل بعد ذلك ..

وعاد الرجل وكلبه إلى الحجرة بعد ان أوصد الباب في إحكام .. ثم وقف بجوار النافذة يحاول أن يخترق الظلام بنظراته النفاذة .. وفي الوقت نفسه كان يعبث باستخراج قطع الزجاج من النافذة ، عندما لمست يده فجاة قطعة من الورق ..

كانت ممزقة كثيرة الثنايا .. ولكن الكلمات التي سطرت عليها في لون احمر قان كانت لاتزال مقروءة .. وكانت بالمثل من الغموض بحيث ظل لحظة طويلة يتاملها وقد استغرق في التفكير .. وإلا فما معنى هذه الكلمات :

" ماري جان عاجل .. جسر . ج . ج . ١ . ٥ "

ومامن شك في أن هذه الورقة كانت ملفوفة حول قطعة الحجر التي قذفت بها النافذة .. وقد وضح ذلك السر الذي ظنه من فعل معتوه او سكير .. وما من ريب كذلك في أن هذه القصاصة هي ما كان الرجلان يبحثان عنه في الكوخ وفي جيوبه.. ولكن احدا منهما لم يخطر بباله أن يبحث عنها في مصراع النافذة إذ انفلتت من الحجر واشتبكت بشظايا الزجاج ..

وثنى الرجل الورقة في عناية ثم وضعها في جيبه وهو لايزال ممعنا في التفكير .. ولو هيئ للسيد " إميل " أن يرى النظرة التي ارتسمت في عيني نزيل الكوخ وهو يطفئ المصباح ويمضي إلى فراشه، لأقض مضجعه السهاد في ليلته هذه ولأدرك اي بلاء سوف يلقاه من ذلك الذي خاله عاملا ريفيا غبيا .. من "ارسين لوبين" .

ولقد كان من سوء طالع ركاب السيارة الليلة أن " ارسين لوبين " هو الذي قُذف كوخه بالحجر تلك الليلة .. بل الاحرى أن نقول كوخ

مرضعته العجوز " فكتوار " التي هجرت فرنسا نهائيا واوت إلى هدوء الريف الإنجليزي فابتاعت هذا الكوخ باسم مسز " اسكديل " لتقضي فيه بقية عمرها .. وسمع صليل غطاء صندوق الخطابات ، فاطل من النافذة ورای موزع البريد الكهل الذي حياه في احترام واخبره ان معه خطابين للسيدة " اسكديل " فطلب منه ان يضعهما في الصندوق إذ إنها سوف تحضر اليوم من " لندن " ..

وكاد الرجل يمضي لشانه لولا ان لمح الزجاج المكسور فصاح :

– يا إلهي .. ما الذي كنت تصنعه هنا ياسيدي ؟ لقد كان سليما امس..

– لقد اصابني عسر الهضم خلال الليل يا " جو " .. ولعلك لاتعلم ان اكل الزجاج خير دواء لعسر الهضم ..

– آه .. كذا .. ولكن يخيل إلي ان إحدى السيارات قد اصابها عسر الهضم كذلك في هذه الطريق ياسيدي .. فلم ار في حياتي بركة من الزيت بهذا الحجم.. وهي تبلغ عشرة امثال تلك التي امام البيت ..

– ماهذا الذي تقول يا " جو " .. هل وجدت زيتا امام البوابة ..

أسرع " لوبين " يرتدي قميصه وسراويله ويمضي إلى الخارج ، فإذا به يرى ان الرجل لم يكن مخدوعا فيما رآه .. إذ كان الزيت يغطي بقعة الدم التي رآها عند منتصف الليل .

وحياه موزع البريد وانصرف لشانه ، فعاد " لوبين " يتامل البقعة ووجدها تغطي المساحة التي كانت تخفيها تماما .. فغمغم : عظيم .. عظيم جدا ..

واسرع يجتاز الطريق إلى موضع البقعة الكبيرة الاخرى التي رآها منذ ساعات على مبعدة ربع الميل ، فوجدها مغطاة بالزيت كذلك .. وعندئذ وقف يدخن لفافته مفكرا فما من ريب أن الزيت لم يوضع فوقها ساعة ذلك الحادث، فهو واثق من ذلك كل الثقة وما من ريب كذلك في أن احدا قد عاد بعد ذلك ليخفي آثار الدماء بهذه الطريقة السخيفة لان الزيت لايسيل من السيارات بمثل هذه الوفرة .. كما انه زيت جديد

وليس من الزيت المستعمل الذي يسيل من الات السيارة ..

وعاد إلى الكوخ ، فمضى إلى الموقد ليغلي قدحا من الشاي.. وفيما هو كذلك سمع طرقة على الباب ، تبعها نباح الكلب .. فصاح :

– ادخل .. سوف احضر حالا ..

وعندئذ صافح سمعه صوت اشبه بتغريد البلابل يقول :

– ولكن هل الكلب يعض ؟ .

فاجفل " لوبين " ، واسرع إلى الباب الخارجي وهو ينتهر الكلب ، وإذا به يرى فتاة في نحو الخامسة والعشرين من العمر ، ذات حسن خارق ، وفتنة جارفة ، ترتدي ثيابا انيقة .. فغمغم قائلا في عجب :

–معذرة ، فقد كنت اتوقع مقدم مرضعتي العجوز .. ولذلك اذهلني ظهورك المفاجئ .. هل لك ان تتفضلي بالدخول ؟ .

وحدقت الفتاة النظر إليه لحظة ، فخيل إليه ان في نظراتها لمحة من العجب والدهشة ثم قالت :

–لقد تعطلت سيارتي في الطريق على قيد خطوات من منزلك ، فهل أجد لديك تليفونا أتصل به لاحضر من يصلحها ؟ .

– اخشى ان تكون آلات التليفون نادرة في هذه المنطقة .. ولكني قد استطيع إصلاح العطب بنفسي ، فإذا عجزت فإن سيارتي سيحضرها احد العمال إلى هنا بعد قليل وفي وسعه ان يرى مايمكن عمله من اجلك.. هيا بنا نرها اولا ..

ترددت الفتاة لحظة ومالبثت ان سارت معه نحو سيارة صغيرة ذات مقعدين كانت تقف في جانب من الطريق على قيد مائة ياردة من الكوخ.. وفي اثناء ذلك قالت :

– إذن فلديك سيارة .. لقد حسبت ذلك اندر من الات التليفون هنا ..

– بالنسبة للسكان الأصليين .. اما انا فلست إلا زائرا .

وعلى الرغم من الابتسامة الشاحبة التي لاحت على شفتي الفتاة ، فإن علامات الحيرة لم تفارق اساريرها ، وهي تمضي قائلة :

– إنك شخص عجيب .. ولكن متى جئت إلى هنا ..

– منذ يومين فقط .. والآن دعينا نبحث ماأصاب سيارتك .

وتقدم يفتح غطاء السيارة ، فما كاد يفعل حتى سمع انة خافتة ، فالتفت إلى الخلف حيث راى الفتاة قد اغمضت عينيها وتشبثت بباب السيارة لتتقي السقوط .. فاسرع نحوها يسالها عما اصابها ، فغمغمت في همس ضعيف :

– هل لك أن تحضر لي قدحا من الماء .. إنني اشعر بدوار شديد ..

– بلا ريب .. اصعدي إلى السيارة ريثما احضر الماء .. وعاد بعد لحظة يحمل قدح الماء ، فوجدها قد انتعشت قليلا ، وهي تبتدره قائلة:

– معذرة لما سببته لك من عناء .. ولكننى لم اتناول اي شيء من الطعام ..

– يا إلهي .. هذا مرض يجب أن نعالجه في الحال .. هيا بنا إلى الكوخ..

وعادا أدراجهما معا ، فاستطرد يسالها :

– إلى اين كنت ذاهبة في هذه الساعة المبكرة ، دون فطور ..

– إلى قصر خالي القريب من " كمبردج " .. فقد اراد‌ني على التبكير في الذهاب لاشترك في مباراة للتنس يقيمها بعد ظهر اليوم.. ولكن ياإلهي.. ما الذي أصاب النافذة .. إنني لم انتبه إليها إلا الآن ..

– لقد اراد احد السكارى أن يداعبني فقذفني بحجر .ولست ادري ماسوف تقوله مرضعتي عندما تراها ..

– اتتوقع قدومها قريبا ..

– في اية لحظة من الآن ..

وصب الشاي في قدحين وضعهما على المائدة ، ثم مضى إلى الموقد ليحضر البيض ، وهو يصيح بها في جذل :

– ضعي بعض اللبن في قدحي ايتها الحورية .. وقطعتين من السكر..

ولم يطل تمهله في اثناء العبارة الأخيرة إلا جزءا من الثانية . ولم يطل بالمثل وقوفه جامدا بلا حراك إلا هذا الجزء من الثانية .. ولكن

عينيه ظلتا متعلقتين بالمرآة الموضوعة فوق المغسل ، والتي كان يرى فيها صورة الفتاة وهي تجلس إلى المائدة .. فقد رآها تضع في قدحه مسحوقا ليس من اللبن أو السكر في شيء ..

وإذا كان ذلك المسحوق الذي رآها تضعه في قدحه مادة مخدرة ، ولا ريب أنه كذلك ، فلا ريب كذلك أن الفتاة ليست إلا من أفراد جماعة الليلة الماضية .. ومن ثم بدا له سبب الحيرة التي تملكتها ، جليا واضحا .. فقد كانت تتوقع أن ترى أمامها " عاملا غبيا " ولكنها وجدته هو ..

وهو يعلم تماما أنها لم ترتب في عدم رؤيته لها وهي تدس المخدر .. فمن المحتم والأمر كذلك أن تظل على هذا الجهل .. وفي الوسع تدبير أمر الشاي في يسر وسهولة .. وماهي إلا أن سقطت السكين من يده وهو يقطع الخبز ، وانحنى ليلتقطها ، حتى صدم مرفقه قدح الشاي فأراقه على المائدة وعلى سراويله .. فنهض قائلا في اعتذار :

– يا لي من أحمق .. ولكن ياإلهي .. إن الشاي شديد الحرارة ..

واستأذنها أن يذهب لاستبدال ثيابه فقالت :

– بلا ريب .. ولكن مسكين أنت .. لاريب أن الشاي قد أحرق جلدك ..

وكانت أساريرها تنطق بالعطف والشفقة لما أصابه .. فلم تختلج عيناها أسفا على فشل خطتها .. وكان " لوبين " يفكر في أثناء استبدال ثيابه فيما عسى أن تكون خطوتها التالية .. ولا ريب أنها كانت تريد من تخديره أن تقوم بتفتيش الكوخ بحثا عن تلك الرسالة التي بلغ من أهميتها أنهم يلجئون إلى مثل هذه الأساليب في محاولة العثور عليها..

وماكاد يعود ويجلس قبالتها حتى سمع دوي العجلات في الطريق وإن هي إلا لحظة حتى كانت مسز " أسكديل " تقف بالباب فاغرة فاها وهي تتأمل الزجاج المحطم .. فصاح بها " لوبين " مرحا : إنه أحد السكارى ياأماه .. وقد اقتضيته جنيهين ثمنا للزجاج .. وهذه سيدة جميلة أصاب سيارتها العطب أمام الكوخ فدعوتها لتشاطرني طعام

الفطور .

فنظرت إليها العجوز في ريبة .. فهي تعرف " لوبين " حق المعرفة ، وتعرف أن وجود فتاة جميلة معه مما يريب حقا .

وكان " لوبين " قد عجز عن إصلاح السيارة بعد محاولة طويلة .. فطلب إلى العامل ان يفحصها وصحبه إليها ، فما كاد الرجل يمضي في فحصها قليلا حتى تبدت الدهشة في وجهه ونظر إلى " لوبين " قائلا : اتقول ياسيدي إنها كانت تسير جيدا ثم تعطلت فجاة ..

– هذا ماتقوله السيدة .

– ولكن ذلك اعجب شيء رايته .. ولا ادري بحق الشيطان كيف يمكن أن يحدث .. اترى هذا الشيء الذي امسكه بين اصابعي .. إنه مجمع الأسلاك التي تتمم الدورة الكهربائية ، وما لم يكن نظيفا جافا فلا يتاتى للسيارة ان تتحرك اصبعا واحدا .. وهانتذا تراه غارقا في الزيت فكيف اتاه الزيت بالله عليك..؟

– ربما كانت إحدى الانابيب قد رشحت ..

– محال أن يحدث ذلك في هذا الموضع ، إذ لاتوجد انبوبة للزيت بالقرب منه.. فإذا كانت السيارة قد سارت جيدا – كما تقول السيدة – فلا ريب أن الأسلاك كانت جافة نظيفة .. فكيف اتاها الزيت إذن .. لابد انه لم يات من تلقاء نفسه ..

– اصغ إلي ، وسوف اجزل لك العطاء .. قل : إنك لم تعرف سبب العطب ..

واستطرد يصيح بالفتاة وهي تدنو : إن الخبير قد فشل في فحصه حتى الآن..

– رباه .. وماذا عساي ان افعل الآن .. لاريب أن خالي المسكين سوف يقلق كثيرا ..

فضحك " لوبين " وقال : لن يحدث ذلك وانا هنا ماقولك في ان تصحبيني في سيارتي فنذهب إلى قصر خالك وانا في طريقي إلى "لندن" ..

فنظرت إليه الفتاة في ريبة ، على حين قطب الميكانيكي حاجبيه بعد ان خيل إليه انه قد فهم سر هذه اللعبة .

ثم غمغمت :

- لم اكن اود ان اسبب لك هذا العناء ، فإن المنزل بعيد عن طريقك ..

- لا عليك ، فما زال الوقت مبكرا .. ولكن إلى اين يذهب الرجل بسيارتك بعد إصلاحها ؟ .. إلي منزل خالك ..

فترددت لحظة ، وقالت :

لعل الأفضل ان ياخذها إلى جراج " كانابى " في " كمبردج " هل تعرفه.. ؟

- اجل ايتها الآنسة ..

فلمس العامل قبعته وهو يومئ موافقا .. ثم ظل يرقب الاثنين وهما يعودان إلى الكوخ ، دون ان يفارقه ذلك القطوب خصوصا عندما عاد "لوبين" وحده ومنحه جنيها وهو يامره بان ياخذ السيارة إلى الجراج دون ان يقول لاحد شيئا عن سبب العطب .. ولكن الذي زاد في حيرة الرجل إنما كان معنى تلك البرقية التي كلفه بإرسالها إذا لم يقابله في الجراج حتى الظهر والتي كان نصفها : "داريل ، نادي سنيور الرياضي ، لندن .. البهو، العنكبوت ، " كمبردج .. أرلو.."



- ٢ -

كان " لوبين " شديد الابتهاج من صحبة الفتاة ، لا لحسنها الرائع وفتنتها الجارفة فحسب ، ولكن لما تتيحه له رفقتها من التغلغل إلى اعماق السر الذي يشغله .. وكان يعجب اشد العجب مما يدعو مثل مس " فينابلز " - كما عرف اسمها - إلى الاندماج في عصابة السيد "إميل " واعوانه .. وكان يفكر في ذلك في الفترة التي قضاها في السيارة بمفرده في إحدى القرى عندما سالته الفتاة ان يقف ريثما تتصل بخالها تليفونيا لتنبئه بتاخيرها ، بينما الواقع انها كانت تريد تحذيره... وكان من الجلي أيضا انها وضعت الزيت في محرك السيارة لتعطلها عندما افتعلت الإغماء ومضى ليحضر لها كوب الماء.. وقد فعلت ذلك عندما تبينت فداحة الخطا الذي وقع فيه " إميل " وشركاه عندما حسبوه عاملا ريفيا غبيا ، فكان هذا العمل من جانبها دليلا على حدة ذكائها وسرعة خاطرها .. ولم يكن غرضها من كل ذلك إلا وضع المخدر في شرابه ثم تفتيش الكوخ .. ولكنه لم يتبين جليا

سبب رغبتها في أن تقابل خالها ومن جديد راح يعجب ان كان هذا الحديث التليفوني الذي طال مداه لا يرمي إلا إلى إعداد استقبال حافل له ، من طراز لقاء المسيو "إميل" له ..

وكان مبتهجا إذ لم تعرف الفتاة انه خدعها .. ومامن ريب انها كانت ترتاب فيه ، لمجرد ادعائه ليلة الأمس انه من العمال ، ولكنبه في الحديث عن النافذة المحطمة .

وعادت بعد هنيهة فاعتذرت له عن غيابها طويلا ، بان خالها في ضيق شديد..

ثم اضافت :

– لست احب ان اضايقك كثيراً يامستر " ارلو " .. ولكن هل لك ان تاخذني إلى قرية " نوروتش " .. سوف ابحث عن شيء هناك ولن أعوقك اكثر من دقيقة..

وكان " لوبين " قد انتحل امامها اسما مستعارا ليس سوى المقطعين الأولين من اسمه الحقيقي .. فاجاب :

– بلا ريب ياعزيزتي .. فلست في عجلة من امري ، ولايزال اليوم في أوله..

ورمقها بركن عينيه فوجدها تجلس محدقة النظر إلى الامام وقد بدت في أساريرها علامات التفكير العميق .. وظلت كذلك دون ان يتبادلا كلمة واحدة حتى بلغا " نوروتش " حيث قالت عندما وقفت بهما السيارة بجوار الكنيسة:

– هل لك أن تنتظرني هنا .. سوف لا اغيب كثيرا ..

وكان من السخف ان يتبعها ويقتفي اثرها في وضح النهار وفي بلدة صغيرة كهذه ، فإنه لايريد ان يثير في نفسها الشكوك من ناحيته.. ولكنه كان يعجب مما دعاها إلى تغيير خط سيرها على هذا النحو ..

ولم تغب الفتاة دقيقة كما زعمت ، وإنما طال غيابها حتى بلغ العشرين دقيقة.. وكان يبدو في محياها وهي قادمة نحوه ان مهمتها

لم تلق نجاحا ، إذ زاد قطوبها وشرود ذهنها وصعدت إلى السيارة دون ان تتفوه بكلمة واحدة ، فسالها :

– هل نذهب إلى " كمبردج " ، ام لا يزال لديك ماتفعلينه هنا ..

– كلا وشكرا .. لقد وجدت ماأردت أن اعرفه ..

– اخشى ان تكون النتيجة غير مرضية ..

– إنها كذلك حقا ، ولست ادري كيف ابلغ الأمر إلى خالي ..

فقال في هدوء ورفق :

– اصغي إلي يامس " فينابلز " .. إنني لا اريد ان ابدو متطفلا او ازج بنفسي فيما ليس من شاني .. ولكن الا يمكن ان اقوم باية خدمة لك ..

ظلت هنيهة لاتحير جوابا .. ثم بدا انها اعملت فكرها إذ قالت فجاة:

– مستر " ارلو " .. الم تسمع قط عن جمعية المفتاح الفضي ..

– إنها المرة الأولى .. ولكن الاسم يبدو لي رقيقا ..

– إن هذه الرقة لاتعدو الاسم فقط .. ولكنها اشد الجمعيات السرية خطرا في اوروبا هذه الايام ..

– من يعش ير .. ولكن ما علاقة هؤلاء الناس بحياتك الشابة ..

– لاشيء يختص بي ، ولكن بخالي ..

– اهو اجنبي ..

– يا لله .. إنه إنجليزي مثلك ومثلي ..

وران عليهما الصمت بعد ذلك حيث كان " لوبين " يفكر فيما سمعه .. وبدا له انه إذا اراد المزيد من المعلومات فعليه بعد هذه البداية ان يشير إلى زواره الليليين ، فقال :

– من العجب ان نتحدث عن الأجانب بعد أن تلقيت زيارة اثنين منهم في الليلة الماضية .. كانا من الألمان .. فصاحت في دهشة مفتعلة جعلت "لوبين" يعجب برقة تمثيلها :

– ماذا ؟ انت .. ترى ما الذي كانا يبغيانه منك . .

– لعمري لست ادري يامس " فينابلز " .. فقد كانا يتحدثان طويلا دون ان افقه مايريدان .. كما ان احدهما ويدعى " إميل " ..

– " إميل " .. ترى هل يضع في إصبعه خاتما ذا ماسة زرقاء ؟ .

– إنه الوغد نفسه .. هل تعرفينه ؟ .

فتمهلت الفتاة قبل ان تجيب :

– مستر " ارلو " .. إنه احد زعماء جمعية المفتاح الفضي ..

– اهو كذلك حقا ؟ . لقد اعتقد بالامس انني مزارع ساذج ، فتركته يعتقد مايشاء .. وكان وصوله بعد زمن وجيز من مرور ذلك السكير الذي قلت لك : إنه قذف نافذتي بالحجر .. ومن عجب ان السيد " إميل " كان شديد الاهتمام بهذا الحادث وبالحجر ذاته .

ولماذا هذا الاهتمام البالغ ؟ .

– إن لبعض الناس هوايات غريبة يامس " فينابلز " .. وهذا الرجل كان شديد الضيق والانفعال وراح يلوح امامي بمدفع صغير .. وفي رايي أن الذي اثار انفعاله هي تلك البقعة من الدماء التي كانت امام الباب ..

فاجفلت الفتاة وقالت : بقعة من الدماء .. ولكن هل اصيب احد ؟ .

– هذا مما لاريب فيه ، فإن الدماء لاتنبت وحدها في الأرض كالعشب..

فقالت الفتاة بعد لحظة : لقد فهمت ..

– يسرني ذلك ، لانني في الواقع لم افهم شيئا .. فهل لك ان تزيدي الامر وضوحا .. ؟

فترددت الفتاة ثانية ، وظلت صامتة لحظة طويلة ، قبل ان تجيب :

– هل تعلم من الذي ذهبت لأراه في " نورونش " .. إنه الرجل الذي سالت دماؤه في الطريق .. الرجل الذي كانوا يطاردونه ..

– وهل رايته ؟ .

– لا .. فقد اخبرتني مديرة منزله ان رجلين من الاجانب حضرا لزيارته في ساعة متاخرة من الليل فصحبهما إلى الخارج ولم يعد ..

ولاريب انه فر منهما خلال الطريق في الضباب وعندئذ حضرا إليك للبحث عنه .. رباه .. إن ذلك سوف يحطم خالي " جون " تماما ..

فحدق " لوبين " النظر إليها وقال : ولماذا يصيب ذلك خالك " جون " ..

– لأنه ابنه .. فهذا الرجل هو " هارولد " ابن خالي ..

فصفر " لوبين " بشفتيه ، ثم قال في دهشة :

– ولماذا بحق السماء يطارد السيد "إميل" ، وعصابته "هارولد" هذا..؟

– مستر " ارلو " .. إنني سوف أوليك ثقتي فاشرح لك الأمر بحذافيره.. ولا اعلم إن كنت مصيبة في ذلك ام مخطئة ، ولكن هذا الأمر قد ضعضع أعصابي.. ومادامت الظروف قد زجت بك في هذه الحوادث في مصادفة عجيبة، فلتكن على علم بحقيقة الأمر .. فقد ذهب " هارولد" منذ ثلاثة اعوام إلى المانيا ..

– لحظة واحدة يامس " فينابلز " .. أي نوع من الرجال " هارولد " هذا..

– هو شاب رقيق المعشر ، ولكنه ضعيف الإرادة ، فقد نشا مدللا إذ ماتت امه عند ولادته ، فأفسد خالي وأساء تنشئته .. حسنا .. لقد ذهب إلى المانيا منذ ثلاثة أعوام ، للنزهة ، إذ إنه يجيد كثيرا من اللغات .. وهناك اتصل بطريقة أو بأخرى بذلك الشيطان " إميل " وجمعية المفتاح الفضي .. وليس بعجيب ان يحدث ذلك ، إذ إن للجمعية فروعا في جميع الأقطار الأوروبية وفي إنجلترا نفسها .. ، وكان ينظر إلى الأمر في مبدئه كمجرد ملهاة يتسلى بها ، ولكنه عندما تبين خطر هذه الجمعية ، كان قد فات أوان النكوص .. ولم اكن اعرف شيئا عن هذا الأمر ، كما لم يعلم به خالي ، إذ لم نتبينه إلا مؤخرا عندما رايته كثير الوجوم على غير عادته .. وأخيرا استطعت ان انتزع السر منه ، فإذا بالجمعية تشدد الضغط عليه ليمدها ببعض المعلومات السريه الخطيرة.. وقد نسيت ان أخبرك ان "هارولد" يعمل في وزارة الخارجية، ولذلك تتاح له الفرصة كثيرا لمعرفة بعض الأسرار

المهمة والاطلاع على الوثائق السرية .. وكنت مع خالي منذ اسبوعين عندما حضر " هارولد " في حالة يرثى لها .. كان شديد الثمل على غير مألوفه.. واستطعنا بشق النفس ان نعلم منه ان هؤلاء الأوغاد بعد ان كانوا يهددونه بالخطابات من " المانيا " ، قد حضروا إلى "إنجلترا " وراحوا يهددونه شخصيا ، إذ كانوا يريدون صورة من وثيقة شديدة الخطورة..

– ولماذا لم يذهب إلى البوليس ؟ .

– هذا ماقاله له خالي ، وعندئذ علمنا الحقيقة المروعة .. علمنا ان "هارولد" قد انزلق إلى هوة الخيانة ، وامد هذه الجمعية ببعض المعلومات التي اؤتمن عليها .. ولديهم رسائل منه تثبت عليه الجريمة، يكفي ان يبرزوها حتى يقضوا عليه وكان الأوغاد يعرفون ذلك فاستخدموا هذا السلاح في سبيل إرغامه على الإفضاء إليهم بمعلومات اخرى ذات اهمية حيوية يعد إفشاؤها خيانة وطنية عظمى.. ومن ثم شعر " هارولد " بخطورة موقفه ، فإذا امتنع عن طاعتهم كان معنى ذلك الموت ، وإذا انساق إلى تنفيذ رغباتهم كان ذلك العار كله ، ولذلك سلك الطريق الوحيد المفتوح امامه . وهو الفرار من وجوههم ، فحصل على إجازة طويلة وغادر منزل ابيه ومضى يختفي في " نوروتش " .. ولكنهم عثروا عليه هناك ..

– وكيف عرفت بما حدث ليلة امس بامس " فينابلز " .. ؟

– لقد اخبرني خالي به عندما اتصلت به تليفونيا ، فإن مديرة منزل "هارولد " تحدثت إليه في الصباح واخبرته بان " هارولد " غادر المنزل مع اثنين من الأجانب ولم يعد .. وانت تعرف البقية ..

وكانت الفتاة تتنهد وهي تفرك منديلها في عصبية بين كفيها ، ومالبث "لوبين" ان غمغم :

– إنني آسف لما اصابكما ايتها الآنسة ، وارجو ان تنكشف هذه الغمة قريبا..

– لقد كان ينبغي ان اكتم الأمر .. ولكنني توسمت فيك مايجعل المرء

يثق بك ويانس إليك ..

– شكرا لهذا الشعور الرقيق .. ولكن الذي لا افهمه بعد هو ما الذي حدا بابن خالك " هارولد " إلى قذف نافذتي بالحجر .. ؟

– لقد فكرت في ذلك يامستر " ارلو " .. فهلا ترى من المحتمل ان تكون هناك رسالة ما لف بها قطعة الحجر على امل ان تصل إليك ..

– يا إلهي .. إنها فكرة رائعة يامس " فينابلز " .. الآن فهمت لماذا كان مستر "إميل" بالغ الاهتمام بما في جيوبي .. ومع ذلك فلم تخطر لي هذه الفكرة ببال..

واختلس إليها النظر ، فوجد جبينها شديد القطوب .. ؟

ومرة أخرى ازداد إعجابه ببراعة تمثيلها .. بيد انه لم يعرف مبلغ قصة "هارولد " هذه من الصدق .. ولولا انه رآها بعينيه وهي تنس له المخدر ، ولولا ان عامل السيارات اخبره بسبب العطب الذي اصاب سيارتها لكان من المحتمل أن يصدق كل حرف من هذه القصة ، ولو انه صدقها لما كان هناك مايدعو إلى إخفاء أمر الرسالة عنها ..

واشتدت رغبته في استجلاء هذا السر المستغلق ، كما اشتدت لهفته إلى لقاء الخال العزيز " جون " .. وهذه الفتاة إنجليزية صميمة : فهل خالها كذلك .. بل هل هو خالها على الإطلاق .. وما حقيقة الصلة بينها وبين ذلك الرجل المسمى "إميل " ؟ . وكان يعلم انهم اصابوا الحدس في وجود رسالة حول قطعة الحجر، ولكنهم يتخبطون في الظلمات بعد ذلك .. فهم لايعلمون إن كان قد وجد الرسالة او لا .. وهم في سبيل معرفة ذلك لايترددون البتة في انتهاج كل الوسائل مهما بلغت من العنف..

واخيرا استطرد قائلا :

– ولكنني لم ار اثرا لأية ورقة في الحجر .. ومن المحقق ان الحجر لم يكن ملفوفا بشيء .. غير انه من المحتمل ان تكون قد سقطت في الحديقة، إلا إذا كانت الرياح قد حملتها بعيدا .. ولماذا بالله لم تفكري في الأمر قبل ذلك يامس " فينابلز " .. فلعلنا كنا نجدها لو بحثنا

عنها.. ولكن ماذا يمكن أن يكتبه ابن خالك في هذه الرسالة مما قد يفيده في شيء ..

فاخلدت الفتاة إلى التفكير هنيهة ثم قالت :

– لعله عرف المكان الذي يقودونه إليه يامستر " ارلو " فكتب اسمه وقذف به على أول نافذة مضيئة لقيها لمجرد الاستغاثة وطلب النجدة..

فنظر إليها " لوبين " في إعجاب ، وهتف :

– لعمري إن العمل معك لذيذ يامس " فينابلز " .. فهذه فكرة أيضا لم تخطر لي على بال قط ..

– ولكننا إذا أردنا أن ننقذه فينبغي أن نعرف المكان الذي اقتادوه إليه في أسرع وقت مستطاع .. لأن خالي لايريد إبلاغ الأمر لرجال البوليس .

– ما رأيك في أن نرسل برقية إلى مسز " اسكنديل " لتبحث عن قصاصة من الورق في الحديقة وتبرق بمحتوياتها – إن وجدت – إلينا..

– سوف نقف عند أول مكتب للبريد ونبعث إليها بهذه البرقية .. ولكن أين ترين أن ترسل الإجابة .. الأفضل أن ترسلها إلى خالك ، فما عنوانه؟

– إن قصره يدعى (هارتلي كورت) ويكفي أن تذكر اسم المكان لتصل إليه.. – وما اسم خالك ؟ .

– مستر " مريديث " ..

– حسنا .. سوف لا تتأخر مسز " اسكديل " عن الرد ، فهي رقيقة الشعور جدا ..

وغادر " لوبين " السيارة عند أول مكتب للبريد حيث راح يكتب برقية طويلة قدمها للموظف وأجزل له العطاء وأوصاه بكتمان ماجاء بها .. ثم عاد ليخبر مس " فينابلز " بإتمام مهمته وما لبثا أن درجت بهما السيارة حثيثا في طريقها إلى " كمبردج " .

ولو حدس " لوبين " كل شيء في تلك اللحظة لما حدس قط أنه كان

يعقد وقتئذ مجلس حربي في قصر (هارتلي كورت) حيث يقيم الخال "جون" .

ففي إحدى حجرات الطابق الأعلى كان رجل أشيب الشعر في نحو الخامسة والخمسين من العمر ، يجلس إلى مائدة عريضة ، وامامه ذلك الألماني "إميل"، الذي كان يقول في خشونة :

– إنني لا افهم شيئا البتة ، فهل قلت : إن ذلك العامل الريفي قادم بسيارته الآن مع " دوريس " ..

– وهل تظن عاملا ريفيا يملك سيارة من طراز " رولس رويس " .. لقد استطاع ان يدخل عليك الغفلة ياصاحبي ، فهو سيد يدعى مستر "ارلو".. اما لماذا فعل ذلك فهذا مالا افهمه .

– وماذا كان يفعل في الكوخ ؟

– لقد ذهب إليه لصيد البط .. ولكن لماذا ادعى انه عامل ريفي .. إنني اخشى ان يكون (صاحبنا) الآخر على صلة به وكان يعرف إلى اين تاخذانه..

– لقد كان الضباب كثيفا يا " مريديث " ، ثم إنه كان بين الحياة والموت.

– ولكن لابد ان هناك رسالة ماكانت حول الحجر .. فما كان يحطم نوافذ الناس لمجرد التسلية ..

– حسنا .. إننا لم نجد شيئا .. كذلك فهمت منك إن " دوريس " لم تنجح في ذلك ايضا .. ولاتنس يا" مريديث " ان كل مايهمنا من امر هذه الرسالة هو الا يعثر عليها احد البتة ، وإلا كنا في خطر ..

– إنني ماكنت ابالي بالأمر لو كان هذا عاملا ريفيا حقيقة ، اما وهو من هو فقد تغير وجه الأمر ..

فقال الألماني في هدوء : لقد فتشنا الكوخ جيدا فلم نجد شيئا .. والآن اصغ إلي يا " مريديث " .. ينبغي ان تكون أكثر هدوءا ورباطة جاش .. وإذا كان المستر " ارلو " هذا واحدا منهم فلماذا لم يذهب صاحبه إلى الكوخ مباشرة ؟ ، او لماذا لم يصرخ مستنجدا ؟ . كلا

ياعزيزي .. إنك تقلق نفسك بغير داع ..

– ربما كنت على حق .. فلننتظر حتى تحضر " دوريس " .

– هذا يذكرني بشيء كنت أريد ان اسالك عنه .. فماذا نحن صانعون بهذه الفتاة عندما تفرغ من مهمتها ..

– ماسنفعله بالآخرين ..

– لقد لاحظت اخيرا انها غدت اشد فضولا ، وتحاول بشتى الوسائل ان تعرف مالا يعرفه إلا اعضاء المجلس الأعلى فقط .. وعلى الأخص فيما يتعلق بموضوع المركز الرئيسي لنا ..

– إنه فضول النساء لا اكثر ولا اقل ..

– ربما كنت على حق .. ومهما يكن من امر فهاهي ذي قد حضرت ، ولابد لي من الاختفاء وعدم ظهوري امام هذا الرجل ..

وراحا يرقبان السيارة من النافذة وهي تستقر امام باب القصر ، حيث هبطت منها الفتاة ، وسرعان ماكانت تلج الحجرة حيث قابلها الرجلان في لهفة وتساؤل .. فقالت في هدوء : لقد تحققت انه لم يجد رسالة ما .. ولكن الذي لا افهمه هو كيف وقعت في هذا الخطا المزري يا" هرفايت " .. لقد كدت ارتبك هذا الصباح عندما رايته ، واضطررت إلى تعديل خطتي باكملها على الفور ..

فقال " مريديت " : هل كان من الحكمة ان تحضريه إلى هنا ؟ .

– كان ذلك لازما ، فقد حاولت أولا أن ادس له المخدر ولكني فشلت .. ثم رحت ابحث في الحديقة دون ان اجد شيئا .. ولذلك كان ينبغي أن ادبر خطة جديدة لمعرفة مالديه .. والآن اصغ إلي يامستر " مريديت " ، يجب ان تهبط لمقابلته .. فانت خالي ، والأمر كله يتعلق بابنك "هارولد" الموظف بوزارة الخارجية ، الذي اختطفته جمعية المفتاح الفضي ..

فاجفل " إميل " وصاح : يا للسماء .. هل اخبرته بذلك أيضا ؟ ..

– بلا شك .. ولكنك لاتستطيع ان تفهم لغبائك ان هذا الرجل ليس مزارعا كما ظننت .. فهو رجل مثقف ولن يسكت على ماحدث في الليلة الماضية إلا إذا فعلنا شيئا يسكته ، وما ذلك الشيء إلا ان نثير عطفه

وشفقته .وهذا مافعلته .. وهاك ما فعلته ..

ثم راحت تقص عليهما ماحدث في الصباح .. وماقالته لـ " لوبين " .. فلما فرغت من قصتها قال " مريديت " :

– لعمري ياعزيزتي ماكان يمكن أن تفعلي خيرا من ذلك ..

واستطردت الفتاة : فإذا لم يصل الرد على برقيته فمعنى ذلك انه حتى لو كانت هناك رسالة ما فلا ريب انها قد فقدت إلى الأبد ..

وتمهلت لحظة قبل ان تردف في نبرات جامدة :

– اما إذا كانت هناك رسالة ما ، فمن حق المستر " ارلو " ان نقدم له كاسا من الشراب .. وستتوقف طبيعة هذا الشراب على مافي الرسالة..

فابتسم " إميل " ، وربت " مريديت " كتف الفتاة مشجعا ، فاستطردت:

– والآن هيا بنا ايها الخال العزيز حتى لايدهش الرجل من غيبتنا .. ولا تنس انك محطم الفؤاد لما اصاب ابنك الوحيد .. وبهذه المناسبة كم تظن ياهرفايت ان يطول الأمر ..

– ثلاثة ايام او اربعة .. ولن تزيد على اسبوع بحال من الأحوال .. فقد انهارت قواه كما علمت هذا الصباح ..

ووجدا " لوبين " يتظاهر بالنعاس فوق عجلة القيادة ، فراح "مريديت" يشكر له في نبرات حزينة مافعله من اجل " دوريس " الصغيرة.. ثم استطرد يسأله إن كان له أن يطمع في المزيد من كرمه فيقبل الانتظار حتى يصل رد برقيته .. فاسرع يعرب عن قبوله ذلك عن طيب خاطر .

ولم تمض دقائق حتى صاح " لوبين " :

– يا لله .. لقد جاءت البرقية باسرع مما قدرت .. فها هو ذا الموزع يدنو بدراجته من القصر ..

فاسرعت " دوريس " لاستلام البرقية .. وفضها وعادت إليهما وعلى وجهها علامات الحيرة الشديدة ، فصاح " مريديت " :

– حسنا ياعزيزتي .. ماذا بها .. ؟

– إنها من مسز " اسكديل " تماما .. ولكن يخيل إلي انها ليست بذات معنى .. فهي تقول إنها وجدت ورقة في الحديقة كتب عليها س.ز .. وبضعة حروف اخرى قد تبلغ العشرة .. ويلي ذلك توقيعها ..

وكان " لوبين " يتفرس فيهما فادرك ان حيرة الفتاة ودهشتها غير مفتعلة .. ولكنها مالبثت ان صاحت في جذل :

– لقد فهمتها ايها الخال العزيز .. فإنها مكتوبة بالشفرة التي كان "هارولد" يستعملها معي عندما كنا اطفالا .. وهي لدي في حجرتي ..

وانفلتت إلى حجرتها .. فاشعل " لوبين " لفافة راح يدخنها في تلذذ ومرح .. وما لبثت الفتاة ان عادت هاتفة :

– لقد وجدتها .. فهذه الحروف تدل على اسم موضع معين .. لله ما ابرع "هارولد " ..

فقال " لوبين " في اهتمام : ما اسم هذا الموضع يامس " فينابلز" .. ؟

– " كسنجلاند " .. واظنني سمعت عن بلدة بهذا الاسم .

– اجل .. وهي تبعد بضعة اميال عن " لوستوفت " على الساحل .. فهل تعتقدين ان معنى هذه الحروف ان ابن خالك قد اقتيد إلى هذه البلدة..؟

– وماذا يمكن ان تعني غير ذلك يامستر " ارلو " .. ؟

لاريب ان هناك بعض الاكشاك البحرية المهجورة وقد سجن في احدها..

فغمغم " مريديث " وهو يمر بيده على جبينه : يابني المسكين ماذا افعل الآن..؟

فتظاهر " لوبين " بالتفكير لحظة ، ثم قال :

– الا يمكن ان افيدك في شيء يامستر " مريديث " .. ؟إنني لا اعرف ابنك ولكن في وسعي ان انهب إلى " كسنجلاند " للتحري عن مصيره .. ولاتنس ان ظهور اي اجنبي في تلك البلدة يكون ملحوظا من سكانها..

-فصاحت الفتاة : ولكن يامستر " ارلو " .. إننا لايمكن ان نكبدك هذا العناء .. ثم إنك مدعو إلى العشاء في " لندن " الليلة و ...

فقاطعها " لوبين " قائلا في احتجاج :

- لاتقولي ذلك ايتها الآنسة .. وفي وسع هذا العشاء ان ينتظر يومين او ثلاثة فإن المرء ينبغي أن يضحي بكل شيء في مثل هذه القضية في سبيل مساعدة الملهوفين .. وسوف ارحل في الحال إلى "كسنجلاند" وسابرق لكم بنتيجة ما يصل إليه بحثي ..

فقال " مريديت " في صوت كسير :

- إنني لا ادري كيف اشكر لك هذا الصنيع ياسيدي .. ولو كانت صحتي ..

- لا تفكر في شيء البتة يامستر " مريديت " .. فإن مكانك هنا .. مع ابنة اختك ..

وصحبته الفتاة إلى السيارة وصافحته ، فضغط على يدها وهو يهمس :

- هل لي أن احضر لك بنفسي الأنباء السارة ياعزيزتي ؟

- بلا ريب .. وإنه لجميل أن تجشم نفسك هذا العناء في سبيل شخصين غريبين ..

- غريبين .. كيف تقولين ذلك يا .. يا " دوريس " ؟ ..

فلما اختفت السيارة في الطريق الرئيسية تحول " مريديت " إلى الفتاة هاتفا:

- ماهذه اللعبة بحق السماء ؟ .. وأي شفرة تتحدثين عنها ؟ .

فاجابت الفتاة في سكينة ، وكان الألماني قد انضم إليهما :

- الا تعرف ماجاء في هذه البرقية ؟ .. إنها وجدت ورقة في الحديقة كتب عليها " س ب ز ا ل ت ر ب ت ي . اسكديل " .. لماذا "كسنجلاند" بالذات ؟ .

- آه .. إنك سريع النسيان يامستر " مريديت " .. الم اقل لـ " ارلو " : إنه إذا كانت هناك رسالة ما فلاريب انها تحمل اسم المكان الذي ياخذون "هارولد " إليه .. وعلى ذلك فإن اي مدينة يتركب اسمها من احد عشر حرفا تفي بالغرض. وقد كنت واثقة انه سيتطوع بالبحث

فاخترت " كسنجلاند " لأنها لا بالقريبة ولا بالبعيدة ، وعلى الأقل تبعده عنا يومين أو ثلاثة .

فغمغم الألماني وهو يمعن النظر في البرقية :

- يا لله يا " مريبيت " .. إن الفتاة شديدة البراعة حقا .. ولكنني أعجب ما الذي تدل عليه هذه الحروف تماما ..

فقالت الفتاة :

- إنني لا أشك البتة في أنها تحمل عنوان مركزكم الرئيسي .

- إذا كان الأمر كذلك حقا ياعزيزتي فقد أحسنت بإبعاد هذا الغر إلى كسنجلاند " !

وفي سكينة تامة راح يمزق البرقية إربا، ثم دس القصاصات في جيبه..

- ٣ -

كان " لوبين " جالسا في بهو فندق " العنكبوت " ظهرذلك اليوم عندما وافاه صديقه " بيتر داريل " فصاح به :

– مامعنى هذه الدعوة العاجلة بالله عليك .. ولماذا تركت صيد البط وعدت إلى " لندن " .. لقد حرمتني من الغداء مع صديقتي " ماريوت " ..

– لاباس يا " بيتر " يابني .. فقد كنت هذا الصباح مع ملاك هبط من السماء بين ذراعي ، ملاك شديد البراعة وحدة الذكاء ..

– ادعوتني لتقول لي ذلك فقط .. من هذا الرجل ؟ .

– إنها سيدة يا " بيتر " .. بارعة الحسن شديدة الفتنة ، ولها خال كهل.. وكانت في لهفة شديدة على ان تصلها برقية معينة . . ولكني أراك لاتفهم شيئا، فلنبدا من البداية ..

وراح يقص عليه ماحدث منذ منتصف الليلة الماضية .. فلما فرغ قال "داريل":

– ولكن ماهذه الرسالة الثانية ؟ . لقد فهمت انك احرقت الأولى التي

وجدتها في النافذة ، فما هذه الأخرى التي وجدتها مسز " اسكديل " ..

- إن مسز " اسكديل " لم تجد شيئا البتة يا " بيتر " .. وعندما اخبرتك انني ابرقت إلى مسز " اسكديل " ، لم اضف إلى ذلك انني اوحيت إلى هذه السيدة الطيبة بنص الرسالة التي تبعث بها .. وقد كنت حائرا في اختيار هذه الرسالة حتى وقعت عيناي في مكتب البريد على صحيفة خاصة بسباق الخيل فاوحت إلي بالفكرة ، ومن ثم كانت برقيتي إلى مسز " اسكديل " (ابرقي إلى "مريديث هارتلي " كورت " كمبردج " بما يلي : وجدت ورقة في الحديقة كتب عليها س ب ر ا ل ف ت ر ب ت ي . اسكديل) وهذه الحروف ليست سوى الرموز الخاصة بالخيل ..

- وكيف بحق السماء صنعت الفتاة منها اسم بلدة " كسنجلاند "؟..

لأن مس " دوريس فينابلز " كما قلت لك فتاة وافرة الدهاء والفطنة يابني ، وكانت تريد أن تتخلص مني ، وتعدني حجر عثرة في سبيلها منذ أن شاءت الصدف أن تضعني في طريق عصابتها .. ولاريب أنها تعتقد انني صدقت تلك الأقصوصة التي ذكرتها لي عن " هارولد " .. وقد كنت متشككا في أمرها حتى جاءت هذه الأكذوبة الضخمة عن الشفرة ببلدة " كسنجلاند " ، إذ إن هذه الكلمة مركبة من أحد عشر حرفا مثل حروف الرسالة المزعومة ..

- وماهي خطتك الآن ؟ ..

- سوف نذهب بعد الغداء إلى " كسنجلاند " ، حيث لانعدم أن نجد شخصا يمكننا أن نعهد إليه ببضع برقيات ليرسلها تباعا في مواعيد نحددها له ، وانكر فيها انني مازالت ابحث ، ثم إنني اهتديت إلى اثر... وهكذا .. ومتى فعلنا ذلك عدنا إلى لندن في المساء .. ولعلنا لو قمنا بتفتيش "هارتلي كورت" تفتيشا دقيقا في اثناء الليل لوصلنا إلى شيء ذي بال .. فإني اعتقد يا"بيتر" أن الأمر اكثر من أن يكون جريمة عادية لا اهمية لها ..

- هل تعني انها جريمة سياسية .. تختص بالجاسوسية فعلا ..

– هذا ما اعتقده يابني .. وفي رايي ان جمعية المفتاح الفضي ذات صلة حقا بهذا السر ..

– إنني اعرف احد رجال المخابرات ، " رونالد ستاندش " . فما قولك في ان تدعوه إلى تناول العشاء معنا الليلة ..

– إنها فكرة موفقة ، فاذهب واتصل به الآن ..

وقد أصابا من التوفيق في " كسنجلاند " اكثر مما كانا يحلمان به ، إذ التقيا منذ وصولهما برجل يعرفه كلاهما ، من اهالي لندن ، وكان يقضي في البلدة بضعة ايام لقضاء مهمة تجارية فيها .. وسرعان مارضي بان يرسل البرقيات التي كتبها له " لوبين " ووضع على كل منها الساعة التي ينبغي ان ترسل فيها..

وفي اثناء عودتهما اقترح " لوبين " ان يعرجا على كوخ مرضعته ليخبرها انه سوف يتغيب اياما قليلة حتى لاتقلق إذا لم يعد ..

فلما أوقف السيارة امام الكوخ هبط منها قائلا لصديقه :إنه سوف يعود في الحال .. ثم فتح باب السياج ومضى يجتاز الحديقة وهو يهتف مناديا العجوز ، دون ان يسمع جوابا منها ودون ان يخف كلبه "جيري" لاستقباله..

فلما بلغ باب الكوخ ، وقف جامدا لحظة .. ثم استدار قائلا : تعال يا"بيتر"..

فاسرع " داريل " ووقف بجواره فادرك السبب الذي جعل الكلب لايخف لاستقبال سيده .. إذ كان " جيري " المسكين ملقى على الأرض وقد اخترقت راسه رصاصة قاتلة ..

وكان يذرع الحجرة بنظراته . وإذا به يصيح دهشة ثم يمضي إلى المائدة ويلتقط قفازا موضوعا فوقها .. وهو يقول :

– أترى هذا القفاز يا "بيتر " .. إنه الذي كانت " دوريس فينابلز " ترتديه هذا الصباح .. ترى ما الذي حدث هنا بحق السماء ..

– لعلها عادت لتتحقق من صدق البرقية والرسالة ..

– ولكن ولماذا تقتل " جيري " ؟ .. ثم اين مربيتي العجوز .. ؟

وعندئذ بلغ سمعهما صوت غطيط عال ينبعث من الطابق الأعلى .. فاسرعا يرتقيان الدرج حيث وجدا به لدهشتهما مسز " أسكديل " مستلقية في فراشها، بثيابها كاملة .

وقد راحت في سبات عميق .. وكان من الجلي ان العجوز قد اعطيت مخدرا قويا .. فقال " لوبين " :

– يالالأنذال .. سوف يكون لي معهم شان . اي شان ولكن كيف حملت إلى ذلك الطابق .. ؟ إن الفتاة وحدها لاتستطيع ان تحمل امراة غائبة عن الصواب فوق هذا الدرج .. ومن الذي قتل الكلب .. ولماذا .. ؟ لقد كانت مس " فينابلز " تلاعبه هذا الصباح في الحديقة ولايمكن ان تكون هي التي قتلته ..

– هل تظن انها لم تكن وحدها ..

– لاريب انهم جاءوا جميعا ليروا الرسالة باعينهم فحدث مانراه ..

وكان " لوبين " واقفا بجوار النافذة ، فضاقت عيناه فجاة وراح يحدق النظر إلى نقطة معينة ، ثم قال :

– اترى هذه الخميلة التي على الجانب الآخر من الطريق ؟ إن شيئا يتحرك بداخلها يا " بيتر " ، واراهنك على انه رجل مختبئ هناك .. بل إنه رجل حقا، فقد رايت وجهه الآن ..

وطلب " لوبين " إلى صديقه ان يظل بالحجرة ويتظاهر بالتحدث إلى شخص آخر ، حتى لايفطن الجاسوس إلى انفراده بها ، ريثما يتسلل "لوبين" من الباب الخلفي للكوخ فيباغته ويقبض عليه ..

ونجحت الخدعة ، فلم تمض بضع دقائق حتى كان " لوبين " يعود إلى الكوخ وهو يجر الرجل من عنقه ، فقابلهما " داريل " عند الباب ، وعجب إذ راى الرجل غير ماكان يتوقع ان يراه ، إذ كانت اناقة ثيابه تنم عن انه ليس من اللصوص او قطاع الطريق .. بل الأعجب من ذلك انه كان يصخب وينذر "لوبين" بإبلاغ البوليس عن هذا الاعتداء الشنيع..

فاجابه " لوبين " : دعك من هذا الهراء وادخل معنا . فإننا نمثل

القانون هنا الآن .. واعلم انه إذا سولت لك نفسك الفرار فسوف اطلق النار عليك ..

وكان غطيط مسز " اسكديل " مسموعا في الكوخ .. فراى " لوبين " في أسارير الرجل لمحة خاطفة من الارتياح اكتسى وجهه بعدها ذلك القناع الجامد كما كان ..

فاشار " لوبين " إلى جثة الكلب وقال : هل انت الذي قتلته ؟

-لا .. فإنها المرة الأولى التي الج فيها باب هذا الكوخ ..

– ولماذا كنت مختبئا تراقبه .. ؟

– لانني أعتزم شراءه .. ومان لت اطلب إيضاحا عن هذا الاعتداء ..

– سوف نقدم لك هذا الإيضاح للتو .. وسنرى إذا كنت ستظل مصرا على هذا السخف إلى النهاية .. اه .. يالك من نذل ..

وفي مثل وميض البرق كانت يد " لوبين " قد ارتفعت ثم هوت على يد الرجل التي اخرجها من جيبه بغتة .. فسقط منها خنجر مرهف النصل .. وسرعان ما امسك بالرجل بين يديه الفولاذيتين ، وطلب إلى صديقه ان يحضر حبلا ، ثم تعاونا على شد وثاقه جيدا على احد المقاعد .. واخرج " لوبين " منديله فكمم به الرجل الذي كان ينظر إليه مشدوها وقد لاح القلق والجزع في عينيه ..

فاخرج " لوبين " بعد ذلك من جيبه اسطوانة قصيرة من المطاط وهو يقول :

– سوف تطلق هذه العصا السحرية لسانك ياصديقي متى ذقت طعمها على فخذيك وما عليك إلا ان تشير لي بالكف عندما تنوي ان تتكلم ..

وكانت عينا الرجل تدوران في محجريهما في الم ونهول كلما هوت قطعة المطاط على جسمه ، واخيرا اشار براسه في قوة ، فتوقف "لوبين" واشار إلى " داريل " ان ينزع الكمامة عن فمه قائلا : هل عولت على الكلام اخيرا ؟.. حسنا ولكني انذرك بانك إذا كذبت علينا فسوف انيقك مالا تنساه في حياتك قط ..

فغمغم الرجل في فزع : ما الذي تريد أن تعرفه .. ؟

– ما الذي حدث بعد ظهر اليوم ؟ .. وماذا كانت مس " فينابلز " تفعل هنا .. ومن الذي خدر العجوز .. ومن الذي قتل الكلب ؟ ..

– إنني لا اعرف ماذا حدث هنا .. وقد كانت هنا إحدى الفتيات ، ويحتمل ان يكون اسمها " فينابلز " ، اما سبب حضورها فلا أعرف عنه شيئا.. ولكن اثنين منا تلقيا امرا بان ..

– ومن الذي اصدر إليكما هذا الأمر ؟ ..

فتردد الرجل لحظة ثم قال :

– هل تدعني اذهب إذا ما أخبرتك بكل ما أعرفه ؟ ..

– سوف ننظر في ذلك فيما بعد .. من الذي اصدر لكما هذه الاوامر؟..

– إننا لا نعرف اسمه .. كما انني شخصيا لم اره قط .. وقد اعتاد ان يصدر لنا اوامره تليفونيا .. وفي هذه المرة امرنا بان نذهب إلى فندق في "كمبردج " وننتظر تعليمات جديدة منه .. وهناك انضم إلينا رجل لم اره من قبل واحضرنا بالسيارة إلى هنا .. وكانت سيارة الفتاة تقف امام الباب ، فمضى الرجل إلى الكوخ حيث كانت الفتاة جالسة تتحدث مع العجوز ، فما كادت تراه حتى شحب وجهها وتعلقت بذراع العجوز كانما تستنجد بها .. وفي تلك اللحظة زمجر الكلب فاطلق عليه الرجل رصاصة صرعته .. وحاولت الفتاة الهرب ولكنا قبضنا عليها بجوار السياج واعدناها إلى هنا حيث حقنها الرجل في ذراعها بمادة مخدرة كما فعل بالعجوز .. وعندئذ امرنا بان نحمل العجوز إلى فراشها والفتاة إلى سيارته .. وبعد ذلك مضى لشانه بعد أن امر زميلي بان يقود سيارة الفتاة إلى " كمبردج " ، كما امرني بان اكمن في الطريق لأراقب الكوخ .

وهذا كل ما أعرفه ..

فاشعل " لوبين " لفافة تبغ ، ونظر إلى " داريل " قائلا :

– مارايك في اكاذيب هذا الوغد يا " بيتر " .. ؟

– ربما كان صادقا .. ولكن هل من عادتك ياصديقي ان تطيع أوامر زعيم لم تره قط .. إذا كان فيها ارتكاب جرائم من هذا القبيل .. ؟

– إنني شخصيا لم ارتكب شيئا ..

– هل هناك كثير من زملائك في هذه العصابة ؟ .

اجل ..

فقال " لوبين " فجاة : اهي جمعية " المفتاح الفضي " ؟

فحدق الرجل إليه في دهشة ، وقال : إنني لا اعرف ماذا تعني ؟ ..

إنه بارع في التظاهر بالدهشة يا " بيتر " .. إلا إذا كانت قصة المفتاح الفضي من ابتكار مس "فينابلز" الحسناء .. وإلا كان هناك عصابتان مختلفتان للرجل واستانف استجوابه :

– هل يمكنك ان تصف لي الرجل الذي حضرتما معه إلى هنا ..

– إنه متوسط الطول ، اسود العينين ، ذو وجه مكتنز .

– إنها صفات تتفق مع زائري ليلة الامس يا " بيتر " .. والآن ماذا ترى ان نصنع بهذا الوغد .. ؟

فصاح الأسير في قلق :

– بالله عليكما ايها السيدان لاتسلماني إلى البوليس .لاخوفا من السجن.. ولكن لو اذيع انني بحت لكما بما قلت لغدت حياتي لاتساوي قلامة ظفر ..

– حسنا .. سوف ننظر فيما نفعله بك بعد ان نتحقق من ان مسز "اسكديل" على مايرام .. تعال معي إلى فوق يا " بيتر " ..

فلما انفردا في حجرة العجوز ، استطرد " لوبين " قائلا :

– إنني اميل إلى تصديق الرجل يا " بيتر " ، فليس في وسعه ان يخترع هذه القصة عفو الخاطر .. ولكني لا افهم سبب قدوم الفتاة إلى هنا .. إذ لم يكن ثمة مايدعوها إلى التحقق من امر الرسالة ..

– سوف نعرف ذلك عندما تفيق مسز " اسكديل " من اثر المخدر .. ولاريب ان سباتها سوف يطول ، وماعليك إلا ان تكتب لها ورقة باننا سنعود في الصباح وعليها الا تقول لاي شخص حتى نقابلها ..

-إن قلبها على مايرام .. ولا أظنها في خطر ما ..

وأخرج " لوبين " مفكرة من جيبه راح يخط فيها بعض الكلمات ، بينما ذهب " داريل " إلى النافذة ومالبث أن صاح :

– آه .. يبدو أن هذا العملاق في عجلة .. انظر يا " لوبين " ..

فانضم إليه " لوبين " .. وإذا به يرى رجلا فارع الطول إلى حد غريب مرتديا حلة سوداء .. يسير في الطريق من ناحية الكوخ إلى اليسار .. ومالبثا أن سمعا دوي محرك سيارة .. فقال " لوبين " :

– لقد كثرت السيارات هنا حتى لينبغي أن يضعوا بعض رجال المرور لتنظيم حركتها .. حسنا يا " بيتر " .. سوف نحمل أسيرنا معا ونلقي به في الطريق ، ففي رأيي أنه لايعرف أكثر مما قاله .. وعليك الآن أن ترغمه على حفر قبر في الحديقة لكلبي العزيز .. ريثما أدثر مربيتي العجوز ببعض الأغطية ..

وبينما كان يقوم بهذا العمل سمع " داريل " يصيح في صوت حاد :

– " لوبين " .. تعال سريعا بحق السماء ..

فاندفع نحو الدرج .. ثم إلى البهو .. وعندئذ رأى الأسير منكفئا في مقعده بحيث لايمنعه عن السقوط إلا الحبل الموثق به .. بينما غاص في قلبه خنجر طويل حتى المقبض ..

- ٤ -

كانت الدهشة التي انتابت " لوبين " من القوة بحيث عقلت لسانه عن الكلام لحظة .. فإن مصرع هذا الرجل لم يكن متوقعا بحال من الاحوال.. كما انه وصديقه لم يسمعا اية حركة في الطابق الأسفل عندما كانا مع العجوز بالحجرة العليا .. وقال " لوبين " :

- إنه ذلك العملاق الذي رايناه مسرعا في الطريق منذ برهة .. ولابد انه طعنه من الخلف وإلا لاستغاث المنكود .

ومضى إلى المطبخ .. إذ خطرت له فكرة مفاجئة .. فصح حدسه حيث وجد الباب الخلفي مفتوحا وعلى عتبته اثار اقدام موحلة .. فقال لـ"داريل " :

- لا ريب انه كان يقف هنا .. وسمع كل كلمة قالها هذا الرجل .. ولاريب ايضا انه لم يقل إلا صدقا وإلا لما قتلته العصابة .. ولكن لماذا يقتلونه الآن بعد ان افضى إلينا بكل مايعرفه .. ؟

- لعلهم ارادوا عقابه على خيانته ..

– ولكن الانتقام لاتكون له روعته مالم يعلم الضحية انه سوف يلقى جزاءه لا ان يقتل غيلة هكذا .. كما انهم كانوا يستطيعون الانتظار إلى فرصة اخرى بعد رحيلنا دون أن يعرضوا انفسهم لخطر المجازفة بذلك ونحن في الكوخ .

أخلد " لوبين " إلى التفكير لحظة ومالبث ان صاح :

– لقد فهمت غرضهم ياعزيزي " بيتر " .. فإنهم يريدون إرغامنا على أن نبلغ الأمر إلى رجال البوليس .. ؟

– ولماذا يريدون ذلك بحق السماء ...؟

– حتى يرغمونا على الإفضاء بكل مانعرفه .. ولاشك انهم استطاعوا معرفة حقيقة البرقية التي أرسلتها إلى مسز " اسكديل " ، التي اجابت بها العجوز.. فايقنوا انني كنت اغرر بهم .. وما دام الأمر كذلك فلا ريب انني اعرف حقيقة الرسالة وادرك تضليلهم .. وقد خيل إليهم انني مادمت لا ابلغ رجال البوليس نبا هذه الجريمة فساضطر لذكر ماحدث بالأمس والإدلاء بالنص الحقيقي للرسالة السرية .. وعندئذ يعرفون مايسعون إلى معرفتهعن طريق الصحف .

– اتظنهم يقتلون رجلا في سبيل ذلك .. ؟

– إذا كان للرسالة اهمية بالغة في نظرهم فلا ريب انهم يقدمون على ذلك .. ولكني سافسد عليهم هذه الفرص .. واقول لرجال الشرطة : إنني حضرت إلى هنا فوجدت الكلب مقتولا ، ومسز " اسكديل " فاقدة الرشد وذلك الرجل موثوقا فوق المقعد والخنجر في صدره .

– وماذا نفعل بمسز " اسكديل " ..

– ستاخذها في السيارة إلى مسكني بـ " لندن " ريثما انهب إلى مركز الشرطة القريب من هنا ثم الحق بك في " لندن " في موعد العشاء..

كان كل شيء بالكوخ على عهده به .. إلا جثة الرجل المطعون بالخنجر.. فقد اختفت كانما بسحر ساحر .. كذلك اختفى قفاز مس "فينابلز" .

وران الصمت هنيهة حتى قطعه الكونستابل قائلا :
– لست أرى اثرا لجثة ياسيدي .. هل انت واثق انك تركتها هنا ؟ ..
– بلا ريب .. وقد رآها صديقي ايضا ..
– إنني اصدقك ياسيدي .. ولكن ربما غرر ذلك القتيل المزعوم بك .. ولاريب انه من اللصوص .. وهو الذي قتل الكلب وخدر العجوز .. فلما شعر بقدومكما اوثق نفسه حيثما اتفق على احد المقاعد .. ثم دس الخنجر في ثيابه بحيث يبدو غائصا في قلبه .. فلما انصرفتما ركن إلى الفرار ..
واعجب " لوبين " بحصافة الكونستابل وراقت له هذه الفكرة لولا انه يعرف انها ليست من الحقيقة في شيء .. فهو يعلم ان الرجل لم يوثق نفسه على المقعد وانه لم يكن يحمل خنجرا آخر ..
وفي تلك اللحظة وقفت دراجة بخارية امام الكوخ .. وبدا في بابه شاب حديث السن يبدو عليه الخجل والحياء فصاح به الكونستابل مداعبا :
– هاك حادث لصحيفتك ايها الفتى الصحفي .. ويمكنك ان تضع له هذا العنوان :
" من الذي قتل كلب الصيد .. ولماذا ؟ "
واستطرد ممثل القانون بعد ذلك قائلا لـ " لوبين " :
– سوف لا ادع هذا الأمر يمر ياسيدي .. ولابد ان انتقم لكلبك المسكين هل تريد ان تعود معنا بالسيارة ..
وكان " لوبين " يعمل فكره وقتئذ على ضوء ظهور الصحفي الشاب .. واستقر عزمه على انتهاز هذه الفرصة .. فقال للكونستابل :
– شكرا ياسيدي .. .. سوف ابقى هنا ريثما ادفن الكلب .. ثم اعود مع مستر " سيمور " على دراجته ..
وما كاد رجال الشرطة ينصرفون حتى افضى " لوبين " للصحفي الناشئ بجانب من حقيقة ماحدث .. وكيف استغفل العصابة وبعث إليها برسالة تختلف عن الرسالة الحقيقية ، وكيف انه يريد ان يمعن

في استغفالها من جديد .. ومالبثا أن أعدا معا مسودة المقال الذي سينشر بعنوان " أحداث عجيبة في كوخ ريفي .. رسالة من الظلام " .. وقد جاء فيها أن " المراسل علم من المستر " ارلو " المقيم في " لندن " يمضي بعض الوقت في صيد البط بكوخ مربيته العجوز أنه حدث في الليلة الماضية بينما كان بمفرده في الكوخ أن قذفت نافذته بحجر كبير حطم الزجاج .. وكان ملفوفا بقطعة من الورق سطرت عليها رسالة غريبة .. وكان الضباب من الكثافة بحيث لم يستطع مستر " ارلو " البحث عن الرجل الذي ألقى بهذه الرسالة .. فظنها مجرد مزحة من شخص ثمل .. إلا أنه عندما عاد إلى الكوخ عصر اليوم وجد كلبه المدلل مقتولا برصاصة في رأسه فاتصل برجال الشرطة الذين بدءوا تحرياتهم في الموضوع.. ولست في حل الآن من نشر محتويات هذه الرسالة الغريبة..

وأردف " لوبين " يقول للصحفي :

– سوف يحاول بعض الناس أن يتصلوا بك على أثر نشر هذا المقال ليعرفوا محتويات الرسالة السرية .. وما عليك إلا أن تمعن في إيقاظ فضولهم بمحاولتك كتمان الأمر .. وأخيرا تقول لهم فحوى الرسالة كما سأخبرك به ولكن دعهم يعتقدون أنك علمته من البوليس وليس مني .. أما الرسالة المزيفة الجديدة فلتكن (روزماري ب ج س دور) .

– ولكن ماهي الرسالة الأصلية ؟ ..

– سوف تعرفها فيما بعد يابني فلا تتعجل الأمور .

وبعد أن قاما معا بدفن الكلب في الحديقة ركب الفتى دراجته البخارية، وجلس " لوبين " خلفه .. ولكن مالبث أن جال بنظراته حواليه لحظة ثم قال للصحفي :

– عليك أن تخرج من البوابة في سرعة عظيمة ثم تتجه إلى اليسار وإذا كنت لاتريد أن تقتل برصاصة في يومك هذا فعليك أن تنحرف يمينا ويسارا حتى تصل إلى منعطف الطريق ..

وفعل الفتى ما أشار به " لوبين " .. فما كادت الدراجة تخرج إلى

الطريق حتى انهال عليهما وابل من الرصاص طاش جميعه دون أن يصيب الهدف ..

وكان " لوبين " قد رأى رجلين يختبئان خلف إحدى الأشجار بالقرب من الكوخ .. أحدهما ذلك الرجل الفارع الطول الذي رآه من قبل مع "داريل" وهو يسرع بالخروج من الكوخ بعد قتل أسيرهما المنكود ..

وفي الساعة الثامنة كان يتناول العشاء مع صديقه " بيتر داريل " .. في فندق "العنكبوت" بكمبردج ، وقد انضم إليهما " رونالد ستاندش "

وكان "بيتر" قد حدثه قبل قدوم " لوبين " بالقصة كلها .. فأضاف إليها "لوبين" ماحدث بعد الظهر .. وأردف يسأله إن كان يعرف شيئا عن هذه العصابة .. فأجاب :

– إنني أعرف مايكفي لكي تتوقعا الموت في لحظة ..

فقهقه " لوبين" في جذل وقال :

– لماذا ؟ .. هل عرفت ذلك القاتل المحترف الفارع الطول ؟ ..

– لا .. ولكنني أعرف الكثير عن جمعية " المفتاح الفضي " .. فأصغيا إلي.. لقد بدأت تظهر هذه الجمعية في أوروبا عقب الحرب .. أي في سنة ١٩٢١ واعتاد الأعضاء أن يضعوا في ياقة معاطفهم مفتاحا فضيا صغيرا كشارة للعضوية .. وهو رمز اتخذوه ليشير إلى أنهم سيفتحون الباب المؤدي إلى عالم أفضل يسوده السلام والطمأنينة ومالبثت هذه الجمعية أن اتسع نطاقها وامتدت فروعها إلى فرنسا وبلجيكا .. وأخيرا إنجلترا ذاتها .. وكان هدفها القضاء على معدات الحرب وممهداتها ، بيد أنهم لم يكونوا يلجئون إلا إلى الاجتماعات والخطب الحماسية فحسب .

ولكن حدث منذ أربعة أعوام أن تطورت وسائل الجمعية وبدأت تسلك مسلكا غريبا .. فقد حدث أن كنت وقتئذ أقوم بعمل مهم في وزارة الحرب .. فإذا برجل يطلب مقابلة أي شخص ليدلي إليه بمعلومات مهمة.. فلما قابلته ورأيت ذلك المفتاح الفضي أدركت أنه من أفراد الجمعية .. وماكان أشد دهشتي عندما قدم لي أوراقا بها

تفاصيل صنع مادة شديدة الانفجار اخترعها الفرنسيون .

وكنت أعلم أن العلماء في فرنسا يقومون بتجارب في هذا المضمار .. فايقنت ان المعلومات التي جلبها لي الرجل صحيحة كل الصحة .. ولكن عجبي تضاعف عندما رفض الرجل ان يبوح لي بعنوانه .. أو يتقاضى اجرا على عمله هذا .. ومالبث أن انصرف وتركني مشدوها ..

ولم تمض أسابيع على ذلك حتى فوجئنا بامر غريب ، هو أن صورة كاملة من هذه المعلومات قد وصلت بمثل هذه الطريقة الغامضة إلى كل من المانيا وإيطاليا وامريكا واليابان بلا مقابل .. فادركنا أن الجمعية قد بدات تستخدم وسائل عملية في سبيل تحقيق مثلها الاعلى ، وذلك بان تسعى للحصول على المخترعات العسكرية الخطيرة لدولة ما وتنشرها بين سائر الدول العظمى .. وبذلك لايكون لإحداها قصب السبق في امتلاك ناصية الأمر إذا سولت لها نفسها ان تشهر الحرب..

ولم تلجا الجمعية إلى الوسائل الإجرامية إلا بعد سنتين من ذلك .. ولعلكما تذكران مانشرته الصحف عن الرجل الذي وجد قتيلابطعنة خنجر في الباخرة الهولندية .. فإن الغريب في هذه الجريمة أن الرجل لم يوجد معه مايدل على شخصيته ، إذ سرقت الأوراق التي كانت في جيوبه كما سرق جواز سفره .. وكان يبدو إنجليزيا ولكن لم تثبت شخصيته بصفة قاطعة .. فلما وصلت السفينة إلى ميناء " هاروتش " لم يستطع البوليس أن يكتشف القاتل بين ركابها فاكتفى بتسجيل أسماء الركاب جميعا وعناوينهم .. ولدى سؤال خادم القسم الذي كان القتيل نازلا به قرر أن المسافر كان يحمل حافظة لأوراق صغيرة من الجلد اللين يمسكها دائما بيده ، كما قرر حقيقة أخرى جعلتنا نزداد اهتماما بالأمر ، وهي انه كان يعاون القتيل ذات يوم في ارتداء معطفه فراى في الياقة مفتاحا فضيا صغيرا .. ومع ذلك فإن هذا المفتاح لم يوجد في مكانه عند فحص الجثة وماعليها من ثياب .. مما يدل على أن القاتل كان قد نزعه واخفاه..

وكنا نفكر فيما إذا كان الباعث على القتل ذا صلة بعضوية القتيل في جمعية المفتاح الفضي – إذ استبعدت السرقة لوجود نقود القتيل كاملة – وفيما إذا كانت الجمعية قد بدات تلجا إلى العنف في اعمالها.. عندما وصل إلى "سكوتلانديارد " خطاب غفل من الإمضاء يقول فيه مرسله :

" إذا اردتم معرفة الحقيقة في مقتل المسافر على الباخرة الهولندية فابحثوا عن السبب الذي من اجله قتل " ماريو مارتيني " بطعنة خنجر في " جنوا " قبل جريمة الباخرة بيومين .وما الذي كانت تحويه حافظة اوراق القتيل ؟ ..إن جمعية المفتاح الفضي لاتزال حريصة على مثلها العليا ولكن هناك خيانة بين بعض زعمائها " ..

وكان ختم مكتب البريد " كنسجتون " كما كان ورق الرسالة عاديا لايحمل علامة ما .. ولذلك لم يستطع البوليس الاهتداء إلى كاتبها .. فاتصل بالبوليس الإيطالي بشان جريمة " جنوا " وعندئذ علمنا لدهشتنا ان هذه الجريمة وقعت حقيقة وان " ماريو مارتيني " كان رساما ماهرا في البحرية الإيطالية وكان وقتئذ يشتغل بعمل رسوم سرية عن الغواصة التي اخترعها الإيطاليون .. وكان المظنون انها تفوق الغواصات العادية إلى حد بعيد ..

ولم نعرف السر في سبب مقتل الإيطالي والرجل الثاني الذي قتل بعده بيومين .. واذاعت " سكوتلاند يارد " في جميع الصحف تطلب إلى مرسل الخطاب ان يتقدم إليها ولكن في اليوم التالي وجد رجل ملقى في حديقة منزل بـ " كنسجتون " .. وقد دق عنقه .. وتبين انه يقطن بحجرة في الطابق الرابع ، وزاره بعض الناس في الليلة السابقة ولبثوا عنده إلى وقت متاخرمن الليل .. اما من هؤلاء الزوار فذلك مالم يتيسر لاحد معرفته .. وقد تبين ان الرجل القي به من النافذة ، كما تبين من مقارنة خطه بالرسالة انه هو كاتبها .. ولم يكن له اقارب او اصدقاء كما لم يكن يغادر حجرته إلا قليلا .. فلما وجدنا مفتاحا فضيا صغيرا في احد ادراج صوانه .. ادركنا ان الجمعية قد

انتقمت من عضو خائن...

ومن المحقق أن الجمعية قد انحرفت عن خطتها الأولى .. فقبل ذلك كانت تمنح الأسرار الخطيرة للدول جميعا .

ولكننا علمنا بعد ستة أشهر أن فرنسا قد ابتاعت سر الغواصة الإيطالية لقاء مبلغ عظيم من المال .. وهكذا تحولت جمعية المفتاح الفضي إلى عصابة إجرامية خطيرة دون أن يشعر تسعة وتسعون في المائة من أعضائها العاديين بهذا التحول .. وإنما كان قياد زعامتها قد تحول إلى عصبة من الجواسيس الدوليين الذين لا يكفون عن القتل .. ولكنهم يستخدمون صغار الأعضاء ، ذوي الأغراض الطيبة الأصيلة للجمعية .. في تحقيق أغراضهم ثم يقتلونهم .. فالرجل الذي قتل على السفينة كان يحمل رسوم الغواصة الإيطالية إلى البحرية الإنجليزية كما حدث من قبل .. والرجل الذي دق عنقه في "كنجستون" قتل لأنه توصل بطريقة ما إلى معرفة أشياء ينبغي ألا يعرفها أمثاله من الأعضاء العاديين .. أما "ماريو مارتيني" فقد قتل حتى لايعطي الرسوم إلى أعضاء آخرين كي يسلموها إلى حكوماتهم في الدول الأخرى كما جرت عليه عادة الجمعية . هذه هي الاستنتاجات التي وصلنا إليها بعد طول إمعان الرأي في الحوادث الثلاث ..

فقال "لوبين" : ومتى وقعت هذه الحوادث ؟ ..

– منذ ثمانية عشر شهرا ، ولكنا لم نسمع شيئا عن الجمعية بعد ذلك ، ولذلك يخيل إلي أنها قد عادت إلى نشاطها ...

– ألا يمكنك أن تحدس ماهم وراءه الآن .. ؟

– كلا .. فقد تركت خدمة المخابرات السرية منذ تسعة أشهر ، ولكني سوف أتصل بهم لأعرف المزيد من أخبار الجمعية ..

فقال "داريل" : هل تظن أن الرجل الذي قذف النافذة بالحجر هو "ماريو مارتيني" جديد في إنجلترا .

فأجاب "لوبين" :

– ذلك محتمل .. ولكن من العسير أن نقتفي أثره .. وفي ظني أنه

شخص آخر ، لأننا إذا فرضنا انه ذلك الخائن الذي باح باسرار وطنه، فلماذا يبعث بهذه الرسالة عبر النافذة .. إذا كان قد اصيب بهذا الجرح العميق الذي تنم عنه بركة الدماء ، فلماذا لم يحضر إلى الكوخ تواً ويطلب النجدة من ساكنيه .. بل لماذا يبعث برسالة رمزية لاسبيل إلى حل شفرتها .. إلا إذا كان قد خشي ان يعثر عليه " إميل" وشركاه بعد ذلك فيقتلوه ويقتلوا معه ساكن الكوخ فلا تصل رسالته إلى الذين يريد ان تصلهم .. ولكن الذي يثير العجب والحيرة في نفس الوقت إنما هو مسلك الفتاة .. فقد دست لي المخدر في الشاي ثم بذلت جهودا جبارة في سبيل معرفة سر الرسالة .. وفي الطريق حدثتني عن جمعية المفتاح الفضي في براءة وسذاجة .. فلماذا ذكرت الجمعية إطلاقا .. ولاتنسيا ماقاله لنا الرجل الذي قتل في الكوخ من انها خدرت هي الأخرى مثل مسز "اسكديل " ، وحملت إلى سيارة المعتدين .. فلماذا يفعلون ذلك بها إذا كانت منهم ؟ ..

وفي هذه اللحظة حضر احد الخدم ليسال عما إذا كان احدهم يدعى مستر "لوبين" ، إذ إنه مطلوب بالتليفون فمضى " لوبين " في إثره ، فقال "ستاندش" : - إنه على حق يا " بيتر " .. فلماذا عادت الفتاة وحدها إلى الكوخ بعد الظهر؟..

- لعلها ارادت ان تتحقق من البرقية ..

- وما الذي اثار ريبتها إذن .. لقد اعتبرتها صحيحة في الصباح ولذلك ضللت " لوبين " وارسلته إلى " كسنجلاند " .

- الواقع انني لا اكاد افقه شيئا من هذه المشكلة .. كما انني لا اعرف الدور الذي يلعبه ذلك الرجل المديد القامة ، وهل هو من المجرمين الدوليين الذين اشرت إليهم ..

وعاد " لوبين " إليهم بعد لحظة فقال : إن مسز " اسكديل " قد افاقت من سباتها وذكرت له ان الفتاة حضرت إليها بعد الظهر لترى الرسالة الأصلية فاخبرتها العجوز انها مزقتها وفي هذه الاثناء اقتحم الكوخ بعض الرجال وحقنوها في ذراعيها فلم تدر شيئا بعد ذلك .. وأردف

قائلا :

– لاريب ان عامل البريد قد تحدث عن البرقية التي ارسلتها مسز "اسكيل" إلى "مريديث" ، وان الحروف التي بها ليست إلا رموزا خاصة بالسباق ، فسمعه احد افراد العصابة وابلغ " مريديث " ذلك ، ولذا عادت الفتاة لترى الرسالة بنفسها ..

– ولكن لماذا تبعها بعض افراد العصابة .. ولماذا خافت لدى رؤيتهم وامسكت بالعجوز مستنجدة .. بل لماذا خدروها وحملوها معهم ؟ ..

– إن الأمر يستقيم لو فرضنا ان " إميل " وشركاه ارتابوا في مسلك الفتاة.. وخشوا ان تكون في الرسالة بيانات خطيرة ينبغي الا تعرفها – ولعلها من الأعضاء العائدين في الجمعية – فاقتفوا اثرها وقبضوا عليها ..

– لاريب انها في خطر ..

– ربما كان الأمر كذلك حقا ..

فقال " ستاندش ": وما الذي ينبغي ان نفعله الآن .. ؟

– هيا بنا نذهب إلى المشرب ، لعلنا نستطيع ان نعرف شيئا عن الساقية ..

ومضى الرجال الثلاثة فاتخذوا مجالسهم فوق المقاعد العالية للمشرب حيث راح " لوبين " يغازل الفتاة ويطري جمالها .. واخيرا سالها عما إذا كانت قد رات قصر " هارتلي كورت " ، ومن صاحبه .. فاجابت الفتاة انه الدكتور "بلفاج" ولكنه يؤجره للغير .. واضافت الفتاة ان هذا الطبيب قد شطب اسمه من سجل الأطباء ، إثر فضيحة حدثت منذ عام ادت إلى حرمانه من مزاولة المهنة .. ولكنها لاتعرف اين يقيم الآن ؟ ..

وفيما كانت الفتاة ماضية في ثرثرتها حانت منها لفتة إلى الباب ، ومالبثت ان غمغمت :

– يا إلهي .. إذا ذكرت الشيطان جاءك يسعى ..

فقد دخل المشرب في تلك اللحظة رجل قصير القامة ، متين البنيان

ذو وجه مكتنز وعينين ضيقتين يشع منهما الخبث والدهاء .. واتخذ مجلسه على المشرب بجوار " لوبين " وزميليه .. وكان وجه " لوبين " جامدا لايفصح عن شيء فقد رأى في ياقة معطف الدكتور " بلفاج " مفتاحا صغيرا من الفضة..

- ٥ -

كان الدكتور " بلفاج " رجلا ثرثارا ، خصوصا إذ ا تناول شرابا .. فما كاد يجرع كاسه الأولى حتى بدا " لوبين " وزميلاه يتحدثون ، وكان عابيا يتناول الجو وانواع الشراب ، ومالبث " ستاندش " ان ساله فجاة:

– معذرة ياسيدي إذا وجدت في سؤالي شيئاً من القحة .. ترى هل لهذه الشارة التي تضعها في معطفك اية دلالة .. ؟

– بلا شك ياسيدي .. إنها شارة جمعية أنتمي إليها ، وساذهب لحضور اجتماع لها الليلة بالذات .

– حقا .. لاريب انها جمعية خيرية محلية ..

– إنها ابعد ماتكون عن ذلك .. وارجو الا تعدني مغاليا إذا قلت لك : إن انصارها يملئون العالم .. وهي تتخذ المفتاح الفضي شعارا لها رمزا على فتح باب عالم افضل واكثر امنا وسعادة .. ومعظم الناس هنا اعضاء فيها ، إذ إننا لا نقتضي رسما للدخول ، والعضوية

مفتوحة لجميع الطبقات بلا تمييز ..
– جميل .. جميل جدا .. سوف اطلب المزيد من المعلومات عنها في فرصة اخرى ..
– هل لك ان تاتي معي لحضور اجتماع الليلة ، انت وصديقاك .. إن لكل عضو ان يحضر معه احد اصدقائه ، ولكني استطيع ان اصحب ثلاثتكم ..
– إنها مكرمة منك ياسيدي .. واين يعقد هذا الاجتماع ؟
– في قصر املكه ويدعى " هارتلي كورت " ، على بعد ثلاثة اميال من هنا .. وهو مؤجر في الوقت الحاضر لواحد من الاعضاء الراسخين في الجمعية نفسها ..
ونظر في ساعته ، ثم اردف :
– ويحسن بنا ان نمضي الآن فالاجتماع سوف يعقد في الساعة التاسعة والنصف ..
فقال : لوبين " وهو يهز راسه :
– اخشى الا يكون في وسعي ان احظى بهذا الشرف ، لانني مرتبط بموعد في " لندن " يضطرني للذهاب إليها الآن ..
وكذلك اعتذر " داريل " ، فقام الطبيب ومعه " ستانتش " ومالبثا ان غادرا الفندق ..
وعندئذ ناول " لوبين " صديقه قصاصة صغيرة من الورق كان "ستانتش" قد دسها في يده منذ لحظة ، وقد جاء بها :
يحسن الا تحضرا فلعل هناك من يعرفكما .. ولكن كونا على استعداد في الخارج إذ ربما يحدث ماليس في الحسبان وترك " لوبين " و "داريل" مكانهما في المشرب ثم ذهبا إلى البهو الداخلي ليستطيعا ان يتحدثا في الأمر قليلا على انفراد قبل ان يذهبا إلى " هارتلي كورت " .. وفيما كانا يجلسان في هدوء ودعة لمح "داريل" عينين متفرستين تحدقان النظر إليهما من وراء الكوة الزجاجية التي باعلى الباب ، فلفت نظر " لوبين " إلى ذلك وماعتما ان اسرعا إلى الخارج ولكنهما لم

يجدا احدا ، فسال "لوبين" البواب:
– هل كان هنا سيد طويل القامة جدا ؟ ..
– نعم ياسيدي .. وقد استقل سيارته منذ ثانية واحدة ومضى بها وهي سيارة طويلة سوداء اللون ..
فتحول "لوبين" إلى صديقه ، بعد ان تركا البواب .. قائلا :
– اترى في ذلك اصبع الدكتور "بلفاج" يا "بيتر" .. ؟
– ولكنه لايعرف ..
– ربما وصفني لهم فجاء هذا العملاق ليتحقق الامر بنفسه .. وارى يابني أن أحداثا جسيمة تحدث الليلة في "هارتلي كورت" خلف ذلك الاجتماع ، ولذلك ظهر الدكتور "بلفاج" على مسرح الحوادث .. ولكن يا إلهي .. من هذا؟
الماجور "جريجسون" ..
وكان القادم شابا طويلا عريض المنكبين وسيم الطلعة .. حيا "لوبين" في بشر واحتفاء فقدمه لصديقه بينما اردف "لوبين" :
– هل قدمت في مهمة رسمية يا "همفري" ، ام ماذا ؟
– ليس كذلك تماما .. ولكن ماذا تفعلان هنا ؟
– نحاول أن نسطو على المقصورة المجاورة .. و "رونالد ستاندش" كان معنا الآن .. ولكنه ذهب ليحضر اجتماعا لجمعية "المفتاح الفضي"..
فوجم "جريجسون" لحظة .. ثم غمغم :
– وما شانه بهذه الجمعية بحق السماء .. ؟
لقد دعاه سيد رقيق إلى الذهاب معه .. ولكن خبرني يا "جريجسون".. هل سمعت عن رجل يدعى الدكتور "بلفاج" .. او "مريديث" او الماني يدعى "إميل" ..
فصاح ضابط المخابرات :
– لست أعرف الأولين .. ولكن هل "إميل" متوسط القامة اسود العينين .. يدل مظهره على الخطر .. حسنا ربما كان "إميل فايت" ..

ولكن خبرني ماحقيقة الأمر فإنه يبدو لي ان الظروف قد جمعتنا في قضية واحدة .

ولم يجبه " لوبين " للتو .. ولكنه قال بعد لحظة :

– ما عملك في الجيش الآن يا"همفري" ؟ ..

– المخابرات السرية ..

– حسنا .. هل إذا ارسلت تقريرا او رسالة توقعه باسمك الصريح..

– لا ادري إذا كان في وسعي الإجابة عن هذا السؤال يا " لوبين " ولكن لماذا.. ؟

– الا يحتمل ان توقع تقريرك برمز مثل ٢ او ٣ مثلا ..

– ربما كان الأمر شيئا من ذلك .

– حسنا .. لقد سالتني عما زج بي في هذه القضية ، واجيبك ان السبب هو ان شخصا يوقع بإمضاء أ . ٥ ..

فصاح " جريجسون " دون وعي : آه . "جنجر لوفلاس" ..

– لقد القى برسالة في كوخ كنت نزيلا به في الليلة الماضية ..

– ولكن لماذا فعل ذلك ؟ ..

– لأنه كان جريحا جرحا خطيرا .. وكان " إميل " وعصابته يقتفون اثره ..

– يا لله .. " جنجر " مصاب .. ولكن اين هو الآن ؟ ..

فقص عليه " لوبين " مامر من الحوادث .. واخبره بنص الرسالة السرية ، ولكن الضابط لم يفهم شيئا منها ، وقال إن كل مايعرفه عن "جنجر لوفلاس" انه منح اجازة لمدة شهرين ومعنى ذلك انه كلف بمهمة معينة .. ثم قال :

– لا اعرف إلا انه كان في " بولندا " بل لقد كنت اظن انه هناك حتى الآن .. اما انا ..

وخفض الضابط من صوته وهو يستطرد :

– اما انا فقد جئت لمهمة غريبة .. فعلي ان اقابل امراة هنا في الساعة العاشرة ، فاسمع ماتريد أن تقوله لي ، ثم اتصرف كما يبدو

لي على ضوء المعلومات التي ساتلقاها .

وهاهي ذي الساعة قد شارفت العاشرة ولن تلبث المراة ان تحضر ..

– أو لعلها لن تحضر يا " همفري " .. وقد بدات ارى جيدا وسط الظلام.. الا تعرف وصف هذه المراة ؟ ..

– نعم.. ولا يعلمه الرئيس بالمثل .. ولكنه كان يذكر جمعية " المفتاح الفضي" مما يدل على انك ايضا على صلة بهذه القضية .. ولكن هل تظنها الفتاة التي رويت لي قصتها الآن .. ؟

– ربما كان الامر كذلك .. ولعلها تعمل في إدارة المخابرات مثلك ..

– لا ادري حقا يا " لوبين " .. ولم اسمع باسم " دوريس فينابلز " من قبل .. ومع ذلك فسوف اتصل بالرئيس تليفونيا لاستفسر منه عن ذلك..

وعاد إليهما بعد لحظة فقال إن الرئيس لايعرف شيئا عن "دوريس فينابلز"، كما أن المراة التي اتصلت به لم تذكر اسمها .. وكان اتصالها به بعد الغداء.. وقد ذكرت جمعية " المفتاح الفضي " و " إميل فايت " ..

– وهل هذا الالماني معروف لكم ؟ ..

– لقد كان يشغل مركزا رفيعا في إدارة المخابرات السرية الألمانية في اثناء الحرب العظمى اما الآن فإنه جاسوس دولي .. يخدم من يدفع له اجراً اعلى .. ولكن هيا بنا إلى ذلك المنزل الذي يعقد به الاجتماع فإن الساعة قد بلغت العاشرة والنصف دون أن تحضر المراة .

وبعد لحظة كان ثلاثتهم يستقلون سيارة " لوبين " ويمضون بها نحو وكر الافعى ..

وقد حرص " لوبين " ان يسلك طريقا جانبيا ملتويا في ذهابه إلى "هارتلي كورت" ، وهناك راى صفا من السيارات ادرك حين رآه ان الاجتماع لم يفض بعد.. ولم يجد الرجال الثلاثة اي مشقة في العثور على موضع منعزل بين الأعشاب كمنوا فيه وراحوا يرقبون القصر والأضواء المتلالئة في القسم الخلفي منه حيث يعقد الاجتماع .. وكانوا يرون جانبا من الموائد التي مدت للمجتمعين ، ويرون رجلا

ممتلئ الجسم يلقي خطابا طويلا ، ولكنهم لم يسمعوا حرفا واحدا مما كان يقوله .. واخيرا بلغ مسامعهم صوت تصفيق حاد ، وقف على اثره "مريديث" ليلقي كلمته ..

واستطاعوا أن يروا كذلك " رونالد ستاندش " وهو يجلس بجانب الدكتور..

وانفض الاجتماع اخيرا، وغادر المحتفون موائدهم ووقفوا في حلقات صغيرة، فدنا " رونالد ستاندش " من النافذة ، وهو يتحدث إلى الدكتور "بلفاج"، ثم اشعل لفافة من التبغ وادار ظهره إلى النافذة ، فلمحوا ضوءا صغيرا يتحرك في حركات متعاقبة ، فغمغم " لوبين " :

– آه .. إنه يرسل إلينا إشارة بطريقة " مورس " ..

وبعد لحظة اردف : إنه يقول : هل انتم هنا .. اجيبوا بصوت طائر..

فاسرع " بيتر داريل " يقلد نعيق البوم .. وعندئذ بدات الإشارات تظهر من جديد وكان فحواها هذه المرة : " انتظروا سوف الحق بكم .. خطر.."

وخطا " ستاندش" بعد ذلك إلى داخل الحجرة ، وفي الوقت نفسه كان المجتمعون ينفضون ، وقد علا صوت محركات السيارات عند الواجهة الأمامية للمنزل ..

وبقي الدكتور " بلفاج " و " مريديث " في الحجرة ، على حين لم يكن ينبعث من القصر وقتئذ اي ضوء آخر ، وكان يبدو انهما يتجادلان وقد ظهر الانفعال الشديد على الطبيب السابق في حين راح " مريديث " يحاول ان يهدئ من ثورته.

واخيرا صاح الطبيب بعبارة سمعها الكامنون إذ قالها في صوت حاد مرتفع: – هذا جنون .. لماذا لم تخبروني بالأمر .. ؟

واخيرا انتهى جدالهما . ودنا " مريديث " من النوافذ فاوصدها في إحكام .. وعندئذ طلب " لوبين " من زملائه ان ينتظروه ريثما يقترب من المنزل لعله يكتشف وسيلة للدخول ، ومضى نحو النافذة الموصدة

وراح يختلس النظر خلال شقوق مصاريعها الخشبية ، فاستطاع ان يرى الدكتور " بلفاج " وهو يذرع الحجرة ذهابا وجيئة وقد قطب جبينه .. ولكنه وقف فجاة وواجه الباب .. وعندئذ راى " لوبين " ظلا يسقط على الأرض ، وتبعه رجل اسمر الوجه ذو وجنتين بارزتين وانف معقوف حدس " لوبين " للتو انه اسباني .. فتقدم نحو الطبيب قائلا :

– كيف حالك يادكتور " بلفاج " ؟ ..

– كما كنت اتوقع .. فإن هذا الرجل شيطان لاتلين له قناة ..

وسمع " لوبين " صوتا جديدا ، كان صاحبه مختفيا في ركن الحجرة يقول:

– إن غيره كانت إرادته حديدية ولكنها تلاشت اخيرا .. فالمسالة مسالة وقت ..

– ولكننا لم يعد لدينا وقت نضيعه .. ثم إن هذا الرجل " ارلو " ، الذي لم اسمع عنه إلا الليلة عند قدومي هنا ، قد يكون يعرف الكثير .. لقد كان من الجنون الا تخبروني عنه من قبل .. ومن العجيب انني دعوته بنفسي للحضور إلى هنا ..

– وماذا لو فعل ؟ .. إن ذلك كان يخفف عنا بعض مضايقاته .. ولكن اعصابك شديدة التوتر الليلة يادكتور .

– لعنة الله عليها ، فما عدت احتمل اكثر من ذلك ..

ولم يخطر لي قط ان الأمر سيطول إلى هذا الحد .. ومن المحتمل بعد ماحدث ليلة الأمس ، ان نفاجا باحداث اخرى ..

– هدئ من روعك يادكتور .. وإني اعترف انه كان من سوء الحظ ان صديقنا " إميل " سمح لذلك الشرطي المتطفل بان يهزا منه .. كما كان من سوء الطالع كذلك انه حسب " ارلو " عاملا ريفيا غبيا .. ولكني واثق ان " ارلو " هذا لايعرف شيئا عن حقيقة الأمور وإلا لمكث في "كمبردج " ..

– لو اننا علمنا مدى معرفته بالحقيقة ؟ ..

- ربما وصلنا إلى ذلك قريبا ..

وكان المتكلم قد دنا من نطاق " لوبين " فوجده الرجل الطويل الذي كان في الكوخ .. وفي الوقت نفسه سمع خلفه صوتا يغمغم في همس:

- يا إلهي .. إنه " جريجوروف " ..

وكان " ستاندش " هو الذي قال ذلك ، ثم استطرد :

- إنه اعظم المجرمين خطرا واشدهم بطشا .. وهو يعمل في المخابرات السرية الروسية ، وكان ينبغي ان احدس من هو عندما حدثتني عنه الليلة ..

وفي هذه الأثناء كان الروسي يقول :

- لقد اتخذت هذا المساء بعض الخطوات التي تحول دون معرفة "ارلو" المزيد من المعلومات .. وأظنها كافية .. اما الآن فهيا بنا ننصرف من هذا المنزل ..

ولم تمض لحظات حتى اطفئ الضوء في الحجرة ، وعندئذ ساد القصر ظلام دامس .. وعاد " لوبين " و " ستاندش " إلى زميليهما حيث سأل " ستاندش " عن سبب إنذاره لهم بالخطر فقال :

- كان كل شيء يبدو بريئا طبيعيا ، حتى رأيت " مريديت " فتبينت انني سبق ان رأيته من قبل .. وذلك عندما حكم عليه بالسجن سبع سنوات بتهمة التزوير.. وكان اسمه وقتئذ " فيرجوسن " .. فوجدت من الحكمة ان انذركم .. ولكني لم أر في الاجتماع " إميل فايت " ، ولا "جريجوروف" وهانذا الآن قد رأيت الأخير فلم يعد لدي شك في اننا وراء مغامرة خطيرة ، وكما قلت لك في الفندق، إننا امام حالة تشبه حالة " ماريو مارتيني " الإيطالي .. ولكن من ذلك الذي قبضوا عليه ، وما السر الذي يسعون إلى معرفته فهذا مالا استطيع أن أحدسه..

وفي هذه اللحظة انبعثت في وسط السكون صيحة عالية مدوية ، هي صيحة امرأة تستغيث .. وكانت صادرة من داخل القصر .. فأسرع الرجال الأربعة نحوه وراحوا يبحثون عن نافذة مفتوحة يتسللون منها، فكان من حسن حظهم ان وجدوا الباب الخلفي للقصر غير محكم

الغلق .. فولجوه .. وبعد لحظة كانوا داخل المنزل ..

وكان السكون عميقا والظلام شاملا .. فاشعل " لوبين " مصباحه الكهربائي حتى وجد الدرج ، ومن ثم راح يرتقيه وخلفه زملاؤه في خفة وحذر ..

ورأوا بصيصا من الضوء ينبعث من حجرة كان بابها مواربا ، فادركوا انها حجرة داخلية ولكنهم قبل ان يصلوا إلى قمة الدرج سمعوا نشيج المراة وعويلها، على حين اجابها صوت اجش غليظ :

- إن عقاب الخونة الموت ..

وعندئذ اسرع " لوبين " نحو باب الغرفة فدفعه مرة واحدة .. ولدهشتهم وجدوا انها حجرة للعمليات الجراحية كالتي توجد في المستشفيات .. وكانت جدرانها ناصعة البياض والضوء فيها ساطع يبهر الأنظار .. وكانت ادوات الجراحة تتالق امام انظارهم .. كما كانت منضدة العمليات في وسط الحجرة وحولها كثير من الأدوات اللامعة..

وبدت لهم الحجرة خالية .. ولكنهم مالبثوا ان راوا امراة ملقاة في ركن الحجرة الداخلي والدموع تهطل من عينيها .. ولكنها كانت قد كفت عن النشيج وراحت تحدق النظر إليهم في دهشة وحيرة .. وكانت سمرة بشرتها تنم عن انها اجنبية عن البلاد .. وما لبثت ان وضعت اصبعها على فمها محذرة ، إذ كانت غمغمة اصوات تنبعث من الممر امام الحجرة ، ثم غمغمت :

- انقذوني .. انقذوني بالله عليكم ..

فاجابها " لوبين " : سوف ننقذك .. فانهضي .

- ولكني موثقة ..

فاسرع " لوبين " ينزع الحجرة إليها ، ويحملها بين ذراعيه إذ كان من المحتمل ان يحضر أفراد العصابة بين ان وآخر بينما كان " لوبين " يود الخروج بالمراة في اسرع وقت حتى يعرف مالديها من معلومات عن "جريجوروف" و"إميل فايت " واتباعهما ..

وعندئذ حدث امر مفاجئ إذ اغلق باب الحجرة بغتة بصوت

مسموع، فوضع " لوبين " المراة على منضدة العمليات وراح يفحص الباب فوجده من الصلب وقفله اشبه باقفال الخزائن ..

ولم تكن بالحجرة نوافذ البتة .. كما أن تحطيم هذا الباب يحتاج إلى طن من الديناميت وإلى ساعتين على الأقل حتى يستطيع " لوبين " فتحه بمهارته المعهودة .. وعندئذ كانت المراة تغمغم في لكنة اجنبية :

– ويلاه .. إنها الحجرة التي يشرح الطبيب فيها اجساد الناس .. والصوت لاينفذ من جدرانها ابدا ..

فقال " لوبين " : ما شانك بهم ياعزيزتي .. ولماذا سجنوك .

– لأنني عرفت اشياء ماكان ينبغي أن اعرفها .. وقلت إنني سابلغ البوليس..

وماهذه الاشياء .. ؟

– إنهم قد قبضوا على الرجال وسجنوهم في مكان بعيد .. وها نحن اولاء ايضا قد غدونا سجناء بدورنا .

– الا تعرفين من هؤلاء الأسرى ايتها الانسة ..

– نعم ياسيدي .. نعم .. ولكن احدهم عجوز . بينما الآخر في مثل سنك .. وقد حبسوهما في منزل كبير جدا . ولكن .. رباه .. إنني اشعر بشيء غريب .. والواقع أن " لوبين " كان يحس بذلك الشيء الغريب نفسه . ولذلك جلس فجاة إذ شعر بقواه تخور ، وبانه لايستطيع أن يحرك ذراعيه او قدميه .. كذلك كانت حال زملائه الثلاثة ، وقد سقطوا على الأرض واحدا بعد الآخر ..

وحاول أن يخرج مسدسه ، ولكن ذراعه لم تطاوعه وكانها قيدت إلى جانبه بقيد من حديد .. كذلك كانت قدماه كانما سمرتا في الأرض .. وكان يشم رائحة ضعيفة لذيذة .. ، أدرك انها رائحة غاز يشل الحراك ، ولكنه لايمنع فريسته من الرؤية والسمع .

ورأى رجلا ينحني فوق " ستاندش " ويوثق يديه وقدميه .. وعندئذ ادرك انه ايضا قد عومل بالمثل وانه قد ربط في مقعده .. ومالبث الرجل ان اختفى وعاد السكون يشمل الحجرة من جديد ..

كان " لوبين " يشعر بتبلد في ذهنه .. فظل ينظر إلى " ستاندش " نظرة جامدة لا معنى لها ، كثمل لايعي .. ومالبث ان شعر بوخز في ذراعيه وساقيه، فعلم ان المخدر قد بدأ يزول اثره .. واخيرا استطاع ان يفيق منه تماما وان يحرك راسه فيرى " داريل " قد افاق بدوره وكذلك "ستاندش " .. ولكن "جريجسون " كان لايزال واقعا تحت تاثيره .. اما الفتاة فلم يكن لها اثر في الحجرة ..

وكان واضحا ان الغاز نفث في الحجرة من طاقة تكييف الهواء .. اما اين كانت الفتحة .. فذلك ما لم يعرفه " لوبين " .. ولم يتسع له الوقت للتفكير ، إذ كان الباب قد فتح ، ودخل منه " جريجوروف " والاسباني و" إميل فايت " ومعهم رجلان من اتباعهم .. فقال الروسي وهو يشير إلى " داريل " :

– لقد كان هذا الرجل مع " ارلو " في الكوخ عصر اليوم .ولكن من هذان الآخران .. ؟

فقال " فايت " لـ " ستاندش" " .

– اظنني رايت وجهك من قبل .. من انت ؟ .

– لا شان لك بهذا ..

واستطرد الروسي يقول لـ " لوبين " :

– اليس من العجيب يامستر " ارلو " ان ابسط الخدع وايسرها هي اوفرها نجاحا .. ودعني اقل لك إنك جلبت المتاعب على نفسك وعلى اصحابك معا .. وكان ينبغي ان تدرك من اول الأمر انك تضايقني بتدخلك في شؤوني وانني لم اسكت على فضولك هذا ، ولن اهنا حتى اضع حدا ولكنك من جهة اخرى اتحت لنا فرصة اختبار شيء معين كنا نهتم به كل الاهتمام .. ولذلك عولت على ان ابقي على حياتكم جميعا بشرط معين .. هو ان تقول لي النص الحقيقي للرسالة التي تلقيتها من الكوخ امس .. واعلم ان حياتك معلقة على تحقيق هذا الشرط ..

– هب انني تلقيت هذه الرسالة ، وانني اخبرتك بفحواها ، فهل

تطلق سراحنا الآن .. ؟

فابتسم " جريجوروف " في خبث وقال :

– إنك ياعزيزي المستر " ارلو " تحكم على عقلية سائر الناس بما توحيه إليك عقليتك انت .. ولاتنس انك اشتهرت باختراع الرسائل ، ولذلك لن اطلق سراحك على الفور ، وإنما ستبقى هنا حتى نفرغ من العمل الذي جئنا من اجله إلى هذه البلاد .. ولكنك إذا اعطيتني الرسالة الحقيقية فإني اعدك بالا يطول احتجازك هنا اكثر من بضعة ايام .. ولاريب ان رجالا في مثل قوتكم لن يموتوا جوعا من ثلاثة ايام او اربعة.. اما إذا رفضت الإدلاء إلي بالرسالة ، فإني اخشى ان تظلوا في هذا المحبس مدة غير محدودة .. ربما كانت شهورا او اعواما .. لأننا عندما نرحل الليلة سوف نغلق القصر ونشيع في الأنحاء المجاورة ان مستر " مريديث " قد رحل إلى الخارج ..

– وماذا يكون موقف " مريديث " عندما تكتشف جثثنا ؟

– إنه لايعرفكم .. ولاريب انكم سطوتم على القصر واغلق عليكم باب الغرفة بخطا غير مقصود .. خطا رهيب ادى إلى كارثة ..

– وهل اوثقت ايدينا وارجلنا بخطا غير مقصود ايضا ؟

– سوف نحل وثاق احدكم يامستر " ارلو " وعليه ان يفعل بكم المثل بعد رحيلنا .. وسيكون في وسعكم أن تتجولوا في الحجرة كيف شئتم، وان تصيحوا ملء افواهكم وان تقرعوا رءوسكم بالجدران ..

وكان "لوبين" قد اخذ إلى التفكير . ومالبث ان قال :

– هب انني اخبرتك بفحوى الرسالة ، فما الضمان على انك ستحافظ على وعدك ؟ ..

– لاشيء .. ولا تنس انك لست في مركز يسمح لك بإملاء هذه الشروط.

– حسناً .. سوف اجازف بحياتي .. وارجو ان يكون فحوى الرسالة ذا معنى بالنسبة إليك .. فقد عجزت وزملائي عن فهمها .. لقد كانت هكذا : " روزماري ب ج س دور " ..

فقال الالماني : اين كانت الرسالة عندما فتشتك .. ؟
- حيث وجدتها فيما بعد .. بين زجاج النافذة المحطمة ..
- واين هي الآن ؟ ..
- في راسي ، فقد احرقتها ..
وراح " جريجوروف " والالماني يتبادلان الحديث همسا هنيهة ، بينما كان "ستاندش " ينظر إلى الأسباني مليا .. واخيرا عاد "جريجوروف" يسال "لوبين " :
- الا تعرف معنى هذه الرسالة .. أو شخصية كاتبها ؟
- كلا .. فإنها مكتوبة بشفرة سرية فيما يبدو لي .
- ولماذا اختلقت تلك الرسالة الأخرى التي ابرقت بها عجوزك الشمطاء..
- لقد اردت ان اسخر من اصحابك ..
- وهل يعلم احد فحوى الرسالة الحقيقية .
- لا .. فيما عدا رجال البوليس في " بلمورتون " .. فقد اخبرتهم بها عندما ابلغتهم بمقتل الرجل الذي اغتيل في الكوخ ..
- سؤال اخر ياعزيزي " ارلو " .. ما الذي تعرفه عن تلك الفتاة "دوريس فينابلز " :
- لا شيء بالمرة .. سوى انها بارعة في تاليف القصص المسرحية ..
وعندئذ قال الالماني إنه قد تذكر " ستاندش " ، فقد كان يعمل بإدارة المخابرات منذ عام ، فقال الروسي وقد ازداد تقطيبه :
- ذلك يجعل للأمر وجها اخر .. لقد كنت اعتقد ان امامنا عصبة من الهواة الحمقى ..
فقال " ستاندش " : ولكني تركت هذا العمل في العام الماضي ..
- هراء .. ما الذي اتى بك إلى هنا الليلة ..
- لقد كان الدكتور " بلفاج " هو الذي دعاني إلى حضور الاجتماع .
- وبعد ذلك وقفت مع زملائك في الحديقة تتجسس علينا ..
- لقد سمعنا صرخة الفتاة ..

– كان ذلك بعد عشرين دقيقة من فض الاجتماع ايها الكاتب اللعين .. وقد كانت هذه الفتاة هي الشرك الذي نصبته لكم .. إذ كنت واثقا من وجودكم في الحديقة ..

وكان " لوبين " يضحك في سخرية ، فجن جنون الروسي وصاح بالأسباني:

– جردهم من أسلحتهم يا " كورتيز " ..

ثم تحول إلى " لوبين " صائحا :

– ايها الإنجليزي الأحمق .. هل تظن في نفسك القدرة على اعتراض سبيلي..

حسنا .. سوف تلقى جزاء حماقتك هذه .. وسوف تموت وزملاؤك ميتة بطيئة شنيعة .. سحقا لك الا تكف عن هذا الابتسام ..

ورفع يده في غضب ثم اهوى بها على وجه " لوبين " في صفعة مدوية .. ثم اشار إلى الأسباني ثانية ليحل وثاق " جريجسون " ..

وكانت عينا " لوبين " تقدحان شررا وهو يقول :

– لقد حدث لي ذلك مرة واحدة قبل ذلك .. اما الرجل الذي فعل بي ذلك فقد قتلته ..

ولم يجبه الروسي .. وبعد لحظة كان الباب يوصد في عنف خلف رجال العصابة ..

وعندئذ قال " لوبين " فجاة :

– إن هذا الرجل ليس اسبانيا ، بل هو مكسيكي ..

فنظر إليه الثلاثة الآخرون في حيرة ، على حين قال " داريل " :

– مامعنى ذلك بحق السماء ..

– لقد استطعت ان افك رموز الرسالة السرية .

فصاح الجميع دهشة ، بينما استطرد " لوبين " .

– أجل .. لقد عرفت السر .. ولكني عرفته بعد ان حبسنا هنا كالجرذان..

- ٦ -

انحنى رئيس الخدم في فندق " ريتز كارلتون " امام الزائر العظيم الذي يتناول العشاء في حجرة خاصة ، وهو يقول :

- لعل كل شيء على مايريده مولاي ..

- شكرا يا " هنري " .. إن كل شيء على مايرام كالعادة ، فدع صديقي يحضر إلى هنا فور وصوله ..

فانحنى الخادم ثانية في احترام بالغ ، أمام الرجل الذي كانت ثروته معروفة بانها تحاكي مايروى في الأساطير الخرافية ..

ظل الرجل وحده في الحجرة وعيناه تستقران بين آن وآخر على الساعة الموضوعة على المدفاة امامه .. كانتا عينين شديدتي العمق .. نواتي لون ازرق باهت .. ولكن فيهما من القوة بحيث لايقوى احد على مواجهتهما طويلا .. عينان تجعلان " إيفور كالنسكي " واحدا من أقوى الشخصيات في اوروبا كلها..

انتهى من عشائه ، واشعل لفافة راح يدخنها في تمهل وقد غاص في

لجة من التفكير .. فقد كان " إيفور كالنسكي " يواجه إحدى المعضلات الكبرى التي واجهها في حياته .. كان يريد ان يقطع براي في هذه المعضلة ، وهي هل يجب ان تقوم حروب اوروبية ثانية ام لا . ؟ وكان يرى ان عليه هو ان يتخذ هذا القرار ..

وقرع الباب ، فتحول " كالنسكي " نحوه يامر رئيس الخدم بالدخول، فإذا خلفه رجل ضئيل الجسم يحمل حقيبة صغيرة منتفخة بالاوراق.. قدمه الخادم قائلا :

– السير " جيمس بورتريش " ياسيدي ..

وظل " كالنسكي " في خلوة مع ضيفه اكثر من ساعة انصرف الضيف على إثرها وهو يقول في ضيق وقلق :

– سوف أعرض الأمر على رئيس الوزراء يامستر " كالنسكي " .. وعسى ان استطيع رؤيتك مرة اخرى قبل ان تبارح انجلترا ..

وعاد " كالنسكي " إلى خلوته وهو يفكر في حديثه مع سير "جيمس" وزير الدفاع في إنجلترا .. لقد اوحى إليه ان حربا جديدة توشك ان تقع، وأن على بريطانيا العظمى ان تتاهب لها ، وان تولي شؤون الطيران كل اهتمامها ، وعرض ان يقدم للإنجليز قرضا قدره ثلاثون مليونا من الجنيهات لتشييد مصانع جديدة للطائرات ..

ولم يمكث وحده طويلا .. فقد قدم زائر اخر لمقابلته ولم يكن سوى الألماني "فايت " .. فحدجه " كالنسكي " بنظرة طويلة بينما كان الألماني يملأ قدحه بالشراب ويشعل لفافة .. ومالبث ان قال :

– لقد فهمت من خطابك يا "هر فايت " ان لديك شيئا بالغ الأهمية تريد ان تفضي به إلي .. فما هو ..

– هل لي ان افهم ياسيدي ان الحالة في اوروبا قد بلغت حدا كبيرا من التوتر..

وأن اية معلومات سرية عن الشؤون العسكرية لها قيمتها الآن .. ؟

– هذا ماسوف اقطع فيه براي الآن عندما اسمع مالديك ..

– الواقع ياسيدي انه سوف يكون لدي بعد يومين اهم الأسرار

العسكرية في إنجلترا .. واشدها خفاء فهل في وسعي أن اعتمد على مكافاتك لي بسخاء إذا جئتك بهذا السر ، كما حدث في حالة " ماريو مارتيني " .؟

- إنني اذكر هذه المسالة جيدا .. وقد نلت فيها مني مبلغا عظيما ..

- حسنا .. إن الأسرار العسكرية التي سوف آتيك بها لاتقل أهمية عن سر الغواصة الإيطالية ..

- إذا كان الأمر كذلك يا هر " فايت " فإني استطيع ان اضمن لك خمسة وعشرين الفا من الجنيهات ..

فهز " فايت " راسه وقال :

- إنها لاتكفي ياسيدي .. فإن لي شريكا يعمل معي من مبدأ الأمر ، وقد مر بنا من الأخطار حتى الآن ماترتعد منه الفرائص ، وما زلنا مهددين باخطار اخرى جسيمة .. فهلا جعلتها خمسة وعشرين الفا لكل منا ..

ففكر " كالنسكي " قليلا ثم قال :

- حسنا يا هر " فايت " .. سوف أعطيك خمسين الفا ، على أن يكون لي تقدير الأهمية الحقيقية لما تاتيني به ..

- إذن اصغ إلي ياسيدي .. إنك ولا ريب تعرف جمعية " المفتاح الفضي"، ومدى نشاطها الآن .. فاسمع تفاصيل مافعلته حتى الآن ..

لقد بدات القصة في " وارسو " منذ شهرين ، مع رجل يدعى "بول جريجوروف". فقد كان يجلس في ردهة فندق هناك ذات يوم عندما شعر بوجود رجلين على المائدة المجاورة له يتحدثان بالإنجليزية ، وكان احدهما إنجليزيا والآخر بولنديا.. وقد لاحظ ان كلا منهما يضع مفتاحا فضيا في ياقة معطفه ، فلم يبال بهما خصوصا وان مظهرهما كان يدل على الغباء الخليق به اعضاء هذه الجمعية المضحكة .. ولكن كلمة واحدة سمعها منهما جعلته يوليهما كل اهتمامه ، وكانت هذه الكلمة هي " الغاز .. " .

ولم يستطع سماع بقية حديثهما ، ولكنه اراد ان يعرف الحقيقة

فاوعز إلى البوليس ان يقبض على الإنجليزي لأمر يختص بالتحري عن جواز سفره ، ومالبث ان زاره في السجن بعد ان وضع في معطفه المفتاح المعهود ..

وابتهج الرجل إذ وجد زميلا له في الجمعية يعنى بامره .. فلما استطاع هذا الزميل أن يتدخل لدى البوليس بنفوذه ويطلق سراح الإنجليزي ، كان شكره وعرفانه بالجميل لايعرف حدودا .. والواقع انه لم يمض نصف الساعة حتى عرف " جريجوروف " القصة بحذافيرها..

كان هذا الشاب الإنجليزي كيميائيا .. وكان يعمل مساعدا لرجل في انجلترا يعمل منذ عدة اشهر في اختراع نوع جديد من الغاز .. ولكنه ليس كهذه الانواع التي تظهر ثم تختفي ، وإنما هو غاز لا لون له ولا رائحة ، اخف من الهواء قليلا ، لايعقب ضررا بعد انتهاء اثره ، وهو اثر عجيب حقا إذ يصيب الأعضاء كلها بشلل كامل بحيث لايستطيع المرء ان يتكلم او يتحرك ، وإن كان يشعر بكل مايدور حوله .. وتتوقف مدة هذا الشلل على كمية الغاز المستعملة ، وهي عادة بين عشر دقائق ونصف الساعة .. ولكن اهم مافي الأمر أن الإنسان لايعرف انتشار الغاز في الهواء إلا بعد ان يحدث اثره ، وعندئذ يكون من العبث ان يقاومه ..

فلما ادرك " جريجوروف " اهمية المعلومات التي باح له الرجل بها ، ظل يتودد إليه حتى عرف ان ذلك المخترع رجل يدعى " والدرون " وهو كيميائي وفي الوقت نفسه ضابط بسلاح المهندسين البريطاني .. وكان ان ادرك ايضا ان هذا الاختراع من الشؤون العسكرية البالغة السرية ، وان هيئة اركان الحرب تهتم به كثيرا وتنتظر انتهاء المخترع من تجاربه إذ اعلن انه سوف يضع اختراعه تحت تصرف الحكومة ، وهو امر لم يرق لمساعده إذ كان عضوا متحمسا بجمعية "المفتاح الفضي "..

ولم يكن " جريجوروف " يهتم بهذا الأمر لقيمته الحربية ، وإنما كان يفكر في فائدة هذا الغاز في شل حراك رجل معين في حجرة فندق مثلا.. فقد كان "جريجوروف " قاتلا محترفا ، ولصا عريقا في الإجرام..

وعرف " جريجوروف " المزيد من المعلومات ، وعرف بالمثل ان هذا الغاز زهيد التكاليف ، يمكن ضغطه في أسطوانات من الصلب ، من اي حجم .. ولكن ذلك الشاب المنكود لم يكن يعرف طريقة تركيبه ، إذ ظل المخترع محتفظا لنفسه ، ولنفسه فقط ، بنقطة او اثنين من مراحل التركيب .. فاعتزم "جريجوروف " أن يتولى الأمر بنفسه .

وكان الشاب ، طبقا للمبادئ الحماسية لجمعيته المضحكة ينوي ان ينتظر حتى يعرف ماخفي عليه من طريقة تركيب الغاز ثم ينشرها في العالم .. ولكن الشاب المسكين لم يكد يفضي بما لديه لـ " جريجوروف " حتى اصيب بحادث مفاجئ .. اعني لم يكن في حسبانه ، إذ سقط امام احد القطارات السريعة ، وبذلك اختفى من المسرح ..

فابتسم " كالنسكي " وقال : لحساب من يعمل " جريجوروف " هذا ؟

– لنفسه خاصة ياسيدي ..

– أهو الرجل الذي قلت : إنه شريكك في هذه الصفقة ..

– إنه هو نفسه .. وكان هذا هو الموقف عندما اتصل بي "جريجوروف" .. وكان باعثه في ذلك شيئين ؛ اولهما أن العمل لم يكن مما يقوم به رجل فرد ، والثاني انه سبق لي العمل في إنجلترا .. وسرعان ما اتفقنا على خطة للعمل.. وقد كان الأمر سهلا من حيث إن هذا المخترع يعيش بمفرده مع خادم شمطاء ، كما انه في إجازة طويلة، بحيث لن يفتقده احد إذا اختطفناه .. ولكن الأمر ازداد صعوبة منذ علمنا انه واسع الثراء ، اي اننا لن نستطيع ان نشتريه بالمال .. فلم يكن امامنا إلا ان نختطفه ونبقيه طويلا بين ايدينا حتى يمكن ان تؤثر فيه وسائل التعذيب المختلفة فيبوح لنا بسر اختراعه .. وعندئذ كان يتعين علينا ان نجد مكانا ملائما ، كمنزل في الريف او مايشبه ذلك .. ومالبثت أن اتصلت بشخص يدعى الدكتور " بلفاج " يملك قصرا في "كمبردج " به حجرة داخلية للعمليات لاينفذ منها صوت ، تلائم غرضنا كل الملاءمة، فضلا عن ان هذا الطبيب ، وقد عرفته من قبل ، من أشد أعضاء جمعية " المفتاح الفضي " حماسة لأغراض الجمعية ..

فلما اتفقنا على ذلك مضينا إلى إنجلترا من طريقين مختلفين ، فبقي "جريجوروف" في "لندن" ، بينما ذهبت إلى "كمبردج" .. وعندئذ فوجئنا باول عقبة إذ إن الطبيب كان قد اجر قصره إلى رجل يدعى "مريديث" .. وكم كان اشد عجبي عندما تبينت ان "مريديث" هذا، بالاشتراك مع الطبيب ، كانا يسعيان وراء "والدرون" المخترع نفسه ، بل إنهما قد اختطفاه فعلا واتخذاه منذ اكثر من عشرة ايام اسيرا لدى جمعية "المفتاح الفضي" .. وقد راحا يحاولان إرغامه على الإفضاء إليهما بسر صنع الغاز .. وقد اخبرني الطبيب بعد تردد يسير ان غرضه من ذلك نشر طريقة صنعه بين الدول الاخرى طبقا لمبادئ الجمعية .. ولكني كنت اعرف الرجل جيدا فصحت به :

– هل انت كاذب ام احمق .. ؟ اتظنني اصدق انك تعتنق مثل هذه المبادئ السامية لوجه الله ..

فلما ادرك انني لست ممن يخدعون بسهولة ، لم يلبث ان اعترف لي بالحقيقة.. تلك هي ان "والدرون" قد اودع منزلا منعزلا يملكه عضو آخر من اعضاء الجمعية ، وهو عجوز متحمس يدعى "هوسكنز" .. وكان المفترض ان يطلق سراح "والدرون" بعد ان يفضي إليهم بالسر ، ولكن الحقيقة هي ان "فايت" و "مريديث" كانا يزمعان قتله والاستيلاء على السر لنفسيهما وبيعه لإحدى الدول العظمى الأجنبية .. وعندئذ قلت للطبيب إن العملية اضخم من ان يقوم بها بمفرده مع "مريديث" – وقد اتضح انه رجل بارع في التزوير وكانت مهمته ان يكتب خطابات على لسان "والدرون" – وانه يجب ان يشركني معه فيها .. ثم عدت اساله عما ينويان عمله بـ "هوسكنز" وهل ينويان قتله حتى لايطالبهما بإذاعة سر الغاز .. وعندئذ علمت ياسيدي بشيء آخر لايقل اهمية عن هذا السر..

وقد قلت لك في مبدا الامر : إنني سازودك بسرين عسكريين خطيرين.. احدهما هو هذا الغاز ، واما الثاني فهو يختص بطائرة جديدة اخترعها رجل اسكتلندي يقيم في منطقة الجبال ويدعى

"جراهام كالدويل " .. وقد فهمت ان محرك الطائرة يبلغ من القوة عشرة أمثال اية طائرة موجودة في الوقت الحاضر .. وكان الرجل يقوم بهذا العمل لحسابه الخاص ، دون معاونة من الحكومة ، ولايعمل معه سوى رجلين من العمال ورجل ميكانيكي موثوق به .. وكانت هذه المسالة هي التي يهتم بها الدكتور " بلفاج " كل الاهتمام ..

وكان قد علم بهذا السر من احد العاملين ، وهو عضو عادي في جمعية "المفتاح الفضي " ، كما علم بان بعض التفصيلات الأخيرة لم تتم بعد ، وعندما تتم تكون رسوم الطائرة قد اعدت نهائياً .. وكان الدكتور " بلفاج " ينتظر هذه الخطوة ..

ولم يكن " هوسكنز " يعرف هذا السر ، فكانت خطة الطبيب وشريكه "مريديت" سهلة .. وقد فاتني أن اخبرك ياسيدي بانه عند اختطاف "والدرون" وجدت لديه اسطوانة صغيرة من الغاز الذي اخترعه ، فكانت خطة الطبيب هي أن يعطي الأسطوانة للعامل الإسكتلندي فيضعها في حجرة " كالدويل " والميكانيكي ، حتى إذا أصبحا لايستطيعان الحراك سرق الطبيب رسوم الطائرة ومضى بها .. ولم يكن " هوسكنز " يعرف شيئا عن هذه الاسطوانة ، وإنما اخفاها الطبيب عندما عثر عليها ساعة اختطاف " والدرون " ، لعلمه بانها ستفيده في سرقة سر الطائرة.. فالطبيب و "مريديت" كانا يهتمان قبل كل شيء بهذا السر ، ويرجوان بعد ذلك ان يستطيعا الحصول على سر الغاز، ولكن ذلك كان في المحل الثاني بالنسبة إليهما ..

ولذلك ترى ياسيدي ان دوري ودور " جريجوروف " كان ينحصر في الانتظار ، وما على الدكتور " بلفاج " إلا ان يقدمنا إلى ذلك المغفل "هوسكنز" على اننا عضوان في جمعية " المفتاح الفضي " حضرنا من المانيا وروسيا للحصول على سر الغاز وإبلاغه لحكومتينا ..

وقد فاتني أن اخبرك بان " والدرون " لم يودع منزل الطبيب في "كمبردج" ، وإنما سجن في اقبية قصر يملكه "هوسكنز" ويدعى (جسر الجواد) .. وهو قصر عتيق تحيط به قناة عريضة من الماء العميق

ولايمكن الوصول إليه إلا بواسطة قنطرة معلقة .

وراعني من " هوسكنز " هذا ان حماسته لمبادئ " المفتاح الفضي " قد جعلته يلجأ إلى أساليب غاية في القسوة والوحشية مع " والدرون " .. ومع ذلك فإنك إذا رأيته رأيت رجلا وقورا يكلل هامته تاج من الشعر الناصع البياض ، ويضع على انفه المقوس عوينات ذهبية .. وقد رحب بنا عندما قدمنا الطبيب إليه وقال:

- يمكنكما ان تقيما في المنزل كيف شئتما .. فإن هذا اللعين "والدرون" شديد العناد ، يرفض الكلام حتى لقد فكرت في انه ينبغي أن يقتل .. فمن الخير أن يموت فرد من أن تهلك الألوف باختراعه الشيطاني .. وقد حاولت ان اقنعه بجادة الصواب ، وشرحت له مبادئنا السامية ولكنه لم يزد على ان اتهمني بانني خائن لوطني .. ولكنني لست في شك من النتيجة الأخيرة ، فإن أحدا لايستطيع ان يقاوم ذلك العقار المكسيكي طويلا .

ودخل الحجرة وقتئذ رجل طويل القامة اسمر البشرة ، فقال "هوسكنز":

- حدثهم يا "كورتيز " عن ذلك العقار ، فهم من اعضاء الجمعية مثلنا..

فغمغم الأسباني قائلا : هذا العقار مادة تسمى " ماري جوانا " ..

فما كاد " جريجوروف " يسمع هذا الاسم حتى صفر بشفتيه .. فقد كان هذا العقار معروفا لتجار المخدرات باسم " ماري جان " وكانت خاصيته انه يجرد الرجل من اي شعور ويحيله كومة مهدومة من الأعصاب المنهارة .. فإذا ادمنه شخص فإنه لايلبث ان ينتهي به إلى الانتحار او الجنون ..

وكان هذا العقار هو الذي يحقن به " هوسكنز " الطبيب أسيره يوميا..

وكانت خطتي و " جريجوروف " ياسيدي هي أن ناخذ اسطوانة الغاز والطبيب معنا إلى " اسكتلندا " ، فإذا تم لنا تخدير " جراهام

كالدويل " وزميله سرقنا رسوم الطائرة واشعلنا النار في الكوخ ، ثم في الحظيرة التي كان بها نموذج الطائرة الجديدة وبذلك لايعرف سرها احد بعد ذلك .. اما " بلفاج " .. حسنا .. إن الطرق في " اسكتلندا " شديدة الوعورة تكثر فيها الحوادث .. وكان علينا ان نعود بعد ذلك إلى قصر (جسر الجواد) فنحصل على سر الغاز ونتخلص من " هوسكنز " والأسباني " كورتيز " والمخترع " والدرون " نفسه .

وتمهل " إميل فايت " ريثما جرع كاسا جديدة من الشراب واشعل لفافة، ثم اردف :

– كان هذا يامستر " كالنسكي " ما قد عقدنا العزم عليه لولا ان تطور الموقف تطورا خطيرا .. إذ حدث منذ اربعة ايام ان كان " جريجوروف " واقفا في إحدى النوافذ عندما راى رجلا يحوم حول القصر ، عرف فيه للتو احد ضباط المخابرات السرية ، وكان قد رآه في " وارسو " عندما اتصل بذلك الشاب الإنجليزي الذي عرف منه سر الغاز .. ولاريب في ان هذا الضابط ، ويدعى "جنجر لوفليس" كان على بينة من الأمر وتبع "جريجوروف" إلى إنجلترا .

فاضطر شريكي إلى العمل سريعا ، فتسلل خلف الرجل وضربه بهراوة على رأسه القته فاقد الرشد ، ومن ثم حملناه إلى حجرتي .. ولم يكن في وسعنا أن نسجنه في القصر حتى لايعلم " هوسكنز " بالأمر ، ولذلك عولنا على نقله إلى قصر الدكتور " بلفاج " في " كمبردج " ويسمى "هارتلي كورت " لنسجنه في حجرة العمليات الداخلية .. فحقنته بمادة مخدرة ، واخذته في سيارتي مع رجل آخر من اتباعي في اثناء الليل وكان الضباب كثيفا حتى اضطررنا إلى السير في بطء.. ولكن "لوفليس" افاق من اثر المخدر في اثناء الطريق فتسلل من السيارة ولكني شعرت به ، واطلقت عليه رصاصة اصابته، ولكننا لم نجده ثانية إلا بعد ان القى برسالة سرية في احد الأكواخ هناك .. وقد فتشنا الكوخ فلم نجدها ولكن الشخص الذي عثر عليها ، هو رجل صعب المراس صلب العود يدعى المستر " ارلو " بدا يضايقنا هو وثلة

من اصدقائه حتى استطعنا ان نوقع بهم في الشرك ، ولكن بعد ان كلفنا ذلك غاليا ، إذ اضطررنا إلى استخدام غاز " والدرون " معهم ، وبذلك لم يعد لدينا شيء منه، وقد اثبتت هذه التجربة ان الغاز قد اتى بجميع النتائج المرجوة منه ، وانه يستحق العناء الذي يبذل في سبيل الحصول على طريقة تركيبه.. وبذلك ايقنا بانه لم يبق امامنا مناص من استخدام وسيلة اخرى مع "جراهام كالدويل " وزميله غير طريقة التخدير التي كنا ننوي استخدام غاز " والدرون" فيها .. ومهما يكن من الامر فإنني سوف اتيك بهذين الاختراعين يامستر "كالنسكي" لقاء المبلغ الذي اتفقنا عليه .. ولكني ارجو الآن ان تعطيني مبلغا لحساب هذه الصفقة حتى يمكن مواجهة النفقات العاجلة .

فاخلد " كالنسكي " إلى الصمت لحظة ومالبث ان قال :

– سوف احدثك في صراحة يا هر" فايت " ساعطيك عندما تقدم لي سر الاختراعين معا عشرة آلاف من الخمسين .. حتى إذا ماتحققت بعد فحصهما من فائدتهما اعطيتك خمسة عشر اخرى .. واما الخمسة والعشرون الفا الباقية فلن تنالها يا هر" فايت " إلا بعد ان يتحقق لدي بادلة حاسمة انني وحدي الذي املك هذا السر ، وانه لم يتسرب إلى اية دولة اخرى وسوف اعطيك الآن خمسة الاف للنفقات العاجلة ، دون ان اخصمها من المبلغ الذي اتفقنا عليه .. فما رايك ؟ .

–إنك كريم ياسيدي .. وإني امتثل لشروطك هذه بحذافيرها .

– شكرا .. وانت تعرف عنواني بباريس ، فما عليك إلا ان توافيني بالرسوم والتفاصيل هناك .

وتناول " فايت " المبلغ ، ثم انحنى في احترام بالغ ، وغادر الحجرة ..

ووقف امام مدخل الفندق الكبير يتامل قليلا في الحركة الصاخبة التي تضطرم في الميدان ويفكر في الاتفاق الذي عقده مع " كالنسكي " ، عندما سمع فجاة صوتا يقول خلفه بالالمانية :

– هل كانت امسية موفقة يا هر" فايت " .

فاستدار دفعة واحدة كانما اصيب بلطمة على راسه ، ولكنه لم ير

سوى احد عمال الفندق يرتدي حلة زاهية ، ويقول في صوت رقيق :

- هل احضر لك سيارة ياسيدي ..

- لا .. ولكن الم تسمع احدا يتحدث إلي الآن بالألمانية ..

فرفع الرجل حاجبيه دهشة ، وقال :

- الألمانية ياسيدي .. هذا امر عجيب حقا ..

فزمجر " فايت " ثم تحول إلى الدرج ومالبث ان مضى في سبيله ، وقد احس بقلق خفي فعلى الرغم من ان الكلمات كانت المانية ، إلا ان لهجة قائلها كانت إنجليزية ..

- ٧ -

لم يكد " فايت " يلج ردهة فندقه ، حتى وجد " جريجوروف " جالسا في انتظاره ، وقد بدت على محياه علامات القلق .. ومالبث الروسي أن ابتدره قائلا:

– هل قرأت الصحف المسائية ..

– لا .. ولم أرها بعد .

– إذن اقرأ هذه ..

وأشار الروسي إلى فقرة راح يقرؤها في إمعان ، وقد ثارت دهشته.. وكان عنوانها " قصر ريفي تدمره النيران " " قلة المياه تعرقل أعمال رجال المطافي ".

وجاء في الفقرة بعد ذلك أن النار شبت في قصر " هارتلي كورت " بكمبردج، فدمرته تدميرا في الساعات الأولى من الصباح وقد ذهبت جهود رجال المطافي هباء نظرا لقلة المياه في تلك المنطقة .. ولم يعرف بعد سبب الحريق ، ولكن يرجح أنه بسبب تماس في الأسلاك

الكهربائية، وساعد على شبوبها أن القصر كان خاليا من ساكنيه فلم ير أحد النار إلا بعد أن اندلعت وحمي اوارها .. واضافت الصحيفة انه اكتشفت بقايا عظام بشرية بين الحطام ولكن تبين ايضا ان مالك القصر الدكتور " بلفاج " كان يحتفظ ببعض الهياكل البشرية الكاملة لأغراض علمية تتصل بمهنته ..

فوضع " فايت " الصحيفة جانبا ، واشعل لفافة ، ثم قال :

- إلى اي حد يؤثر هذا الحادث في عملنا ..

- لا شيء حتى الآن ، مالم يكتشف البوليس حقيقة هذه العظام .. واشد ما اخافه ان يكون بجانبها ماينم عن شخصية اصحابها .. وعندئذ سوف يرى "مريديت " نفسه يواجه موقفا خطيرا ، فيعمد إلى الاعتراف بالحقيقة لرجال البوليس ، ويوقع بنا لينجو بنفسه .

- إنه لايجرؤ على ذلك مالم يوقع بنفسه بالمثل .. ولعل خير مايقال في هذا الشان انه لايعرف شيئا عن هؤلاء الناس الذين سطوا على القصر في غيبته..

- ربما تتطور الأمور فيعجز " مريديت " وذلك الطبيب المافون "بلفاج" عن المقاومة ويعترفان بكل شيء ..

- صدقت ويجب ان نرى راينا في هذين الغبيين ، وكذلك في الأسباني "كورتيز " ، ولكن اصغ إلي اولا ..

ومضى يقص عليه نبا الاتفاق الذي عقده مع " كالنسكي " .. ثم اردف:

- وقد كنت أحب ان نذهب وحدنا إلى " اسكتلندا " لنحصل على رسوم الطائرة ، ولكني أخشى إذا فعلنا ذلك ان يبلغ " مريديت " الأمر إلى رجال البوليس بخطاب غفل عن الإمضاء فنضبط متلبسين بجريمتنا.. وكذلك فإن أهل الجبال في تلك المنطقة ينفرون من الأجانب ويميزونهم على بعد ميل .. ولذا ارى ان نذهب جميعا إلى هناك .. ولا تنس ان علينا ان نتخلص من " جراهام كالدويل " وزميله دون ان نثير الشكوك حولنا .. فإذا استطعنا ان نقتلهما بحيث يقع عبء الجريمة

على " مريديث " والطبيب ، كان ذلك خير وسيلة لنجاتنا من مضايقتهما..

إنها فكرة عظيمة يا " إميل " ، ولكن هل يمكن تنفيذها ؟ .

– نعم ، بشرط أن نأتي بالرجلين إلى " جسر الجواد " .

– وكيف يمكنك بحق السماء أن تحضرهما من "اسكتلندا" إلى هناك.. مع أن " مريديث " والطبيب يريدان أن يبقى هذا السر بعيدا عن "هوسكنز" .

– وما الذي يجعل " هوسكنز " يعلم به . سوف تكون الرسوم معنا وحدنا ، ويمكننا أن نزعم له أننا ننسخ منها صورا لتوزيعها على الدول، وبذلك يبقى ساكتا .. أما " مريديث " والطبيب فيمكن أن نزعم لهما أننا ننتظر حتى يبوح "والدرون " بسر الغاز ثم نبيع الاختراعين معا صفقة واحدة .

– وكيف يمكننا الخلاص بعد ذلك ..

بطريقة سهلة .. فسوف نحقن " جراهام " والميكانيكي و " والدرون " بكمية كبيرة من المورفين تقضي عليهم .. ولما كان الطبيب دائما ثملا لا يعي فسوف يظن هو ، وبقية زملائه معه ، انه هو الذي قتلهم خطأ .. وفي غمار هذه الفوضى يمكننا أن نختفي من المكان ونترك الطبيب و"مريديث" و " هوسكنز " يتخبطون في كيفية الخلاص من الجثث الثلاث.

ومضى " فايت " يحضر حقيبته ويضعها في السيارة ، فلما درجت بهما في شوارع " لندن " كان الليل قد انتصف .

وكان الطريق طويلا إلى " جسر الجواد " .. إذ وصلا إلى القصر بعد أن شرقت الشمس .. فتسللا إلى الداخل وفي عزمهما أن يأويا إلى حجرتهما .. ولكنهما وقفا في البهو قليلا حيث صب " جريجوروف " لنفسه كاسا من الشراب بينما وقف " فايت " في النافذة يتأمل المروج المجاورة .. فهتف فجأة:

– " جريجوروف " .. تعال إلى هنا ..

كانت الحشائش تعلو رأسيهما .. ولكن " جريجوروف " استطاع أن يرى القصر خلال فرجة فيها .. فأمسك بذراع الألماني في قوة وغمغم :

- انظر إلى تلك النافذة يا "إميل " ..

فقد كانت امرأة تقف في النافذة منحنية إلى الأمام تحدق ناحيتهم . ولم تكن تلك المرأة سوى مس " دوريس فينابلز " ..

كان الطبيب قد غفل عن حقن الفتاة بالمخدر في الموعد المناسب ، فأفاقت من تأثيره ووقفت في النافذة تستنشق هواء الصباح .. أو هكذا قالت : لـ"جريجوروف " و " فايت " عندما اقتحما حجرتها بعد قليل وراحا يستجوبانها.. وهي لا تعرف شيئًا عن حقيقة الرجل الذي كان مختفيا بين الحشائش ، بل لاتعرف بوجوده قط ، وبالمثل لا تعلم شيئا عن هذا المكان الذي سجنت فيه .. وهي لاتزال تصر على أنها عضو بجمعية " المفتاح الفضي " وأن حماستها لمبادئ الجمعية هي التي جعلتها تعمل مع " مريديث" وأصدقائه ..

ولكن " فايت " لم يقتنع بهذا القول ، وأمسك بالفتاة يجرها نحو الباب، فصاحت به :

- إلى أين تقودني أيها الوحش .. ؟

- لقد كنت شديدة الفضول إلى معرفة مركز قيادتنا ، ولذلك سوف أريك بعض حجراته السفلى .. وستظلين سجينة في الأقبية الرطبة حتى تبوحي لنا بحقيقتك ..

وعندئذ وقع بغتة أمر مفاجئ ، إذ ظهر في باب الحجرة شاب يترنح كالثمل وقد شحب وجهه شحوبا شديدا ، وحول رأسه عصابة قذرة .. فلم تملك الفتاة نفسها عن أن تصيح :

- " تومي" .. عزيزي " تومي " .. ماذا فعلوا بك أيها الحبيب ..

فغمغم الشاب في صوت خافت ضعيف :

- لقد سمعت صوتك يا " دوريس " ، فجئت لأراك .

وبدا الاهتمام في وجه الألماني فقال :

- أرى أنك تعرفين الكابتن " لوفليس " معرفة وثيقة ياعزيزتي ..

فصاحت به الفتاة في تحد :
– إنه خطيبي ايها الوغد ..
– اه .. إذن فقد زعمت انك عضو بالجمعية كي تحاولي إنقاذه ..
– نعم .. ولو كانت لديك ذرة من الشهامة لاخليت سبيلي ..
وتحول إلى الضابط فقال له :
– هل لك ان تخبرني عن حقيقة معنى هذه الرسالة الغريبة .. إنني لم افقه معنى لهذه الكلمات " روزماري ب ج س د و ر " فلماذا عنيت بها ؟ .
فنظر إليه " لوفليس " في دهشة وغمغم :
– " روزماري " . إنني لا افهم شيئا ..
ولكنه صمت فجاة ، وما لبث ان اردف :
– إنني لا انكر شيئا .. فالأمر كله كالحلم ..
وضاق " فايت " ذرعا بالاثنين فحقن " لوفليس " بالمخدر في ذراعه ، على حين دفع الفتاة في عنف إلى خارج الحجرة ، فاجتازت ردهات طويلة قبل ان تقف امام باب ضخم من الحديد فتحه " فايت " ، ودفعها امامه إلى درج حجري ضيق فراحت تهبطه في بطء وحذر .. وكانت قطرات الماء تتساقط فوق راسها من السقف على حين كانت رائحة الرطوبة العفنة تنبعث من الأسفل قوية حادة خانقة .
وكانت لاتكاد ترى ما امامها لحلكة الظلام ، ولكن عينيها اعتادتا ذلك بعد قليل ، فإذا بها ترى في ركن من القبو فراشا من القش رقد عليه رجل يتململ في الم وصليل السلاسل ينبعث من ناحيته كلما تحرك.. وكان يقف إلى جانبه شيخ اشيب الراس يضع عوينات ذهبية على انفه المقوس .. ولم يكن سوى "هوسكنز" وكان يصيح بالأسير :
– الا تتكلم ايها الشرير .. افض إلي بسر هذا الغاز الذي اخترعته حتى يعرفه العالم ..
فاجاب المسكين في صوت خافت :
– لن اتكلم بشيء .. فدعني وشاني ايها الرجل الخائن وطنه ..

– الوطن .. ما الوطن ايها الغبي .. إن الوطن هو العالم كله متى ساده السلام ..

وعند هذه العبارة وقع بغتة امر يكاد يشبه الخوارق .. فقد انبعثت ضحكة مدوية من مكان مافي اعلى الدرج .. ضحكة مليئة بالسخرية والتهكم ..

فانتفض " فايت " وتلفت حواليه وهو يسال في صوت متهدج :

– من الذي ضحك هكذا ؟ .

ولم يجبه احد على سؤاله .. وفي اللحظة نفسها كان " مريديت " يهبط الدرج في عجل وانتحى بـ " فايت " و "جريجوروف" جانبا وراح يهمس لهما بكلام طويل ..

وكان الجميع منصرفين عن الفتاة وهي تقف وحدها بجوار "والدرون" التعس.. وعندئذ احست بيد تلمس كتفيها في الظلام اجفلت وكادت تنبعث من فمها صرخة حادة ولكنها حبستها في حلقها إذ سمعت صوتا يهمس في أذنها: – إنني صديق يا " دوريس " .. فدعي "والدرون" يطاولهم قليلا ويعدهم بإفشاء سره .

فتظاهرت الفتاة بالإغماء وسقطت على الأرض بجوار " والدرون " ومالبثت أن همست للمخترع بهذه الرسالة الغريبة .

فلما فرغ " فايت " من حديثه مع " مريديت " ، كان يبدو وكانه في عجلة من امره ، إذ قال لـ " هوسكنز " : قل للدكتور " بلفاج " ان يحقن الفتاة بالمخدر ويحملها إلى حجرتها .. اما نحن فلدينا عمل مهم الآن

وكان " مريديت " قد اخبره بان رجلا " إيقوسيا " قد حضر برسالة من ابن عمه الذي يعمل مع " جراهام كالدويل " مخترع الطائرة ، ليخبرهم بان رسوم الطائرة قد اعدت وان " جراهام " فرغ من إتمامها .. وعليهم أن يعجلوا بالحضور قبل أن يحمل المخترع رسومه إلى السلطات الحربية .. فتم الاتفاق على ان يذهب " فايت " و "جريجوروف" و"مريديت" وكورتيز" معا على ان يبقى الطبيب و " هوسكنز " في القصر حتى عودتهم .

-٨-

كان الطريق يمتد ميلا بعد ميل فيبدو كشريط أبيض ملتو ، بين الوهاد الجبلية السوداء .. ولم تكن ثمة منازل قريبة من تلك البقعة ، غير خيمة صغيرة ، بجانبها كوخ صغير من الخشب وعلى قيد نحو مائتي متر منهما كوخ خشبي آخر مستطيل الشكل لا نوافذ له ، وبابه عريض بحالة غير مألوفة .

وعلى الرغم من ان الساعة قد بلغت العاشرة مساء ، إلا أن الظلام لم تشتد حلكته بعد ، كعادة هذه الأصقاع الشمالية ، بحيث يكفي الضوء رجلا لأن يقرا كتابا ..

ولكن الرجل الوحيد الذي كان هنالك وقتئذ ، لم يفكر في القراءة .. بل كان مستلقيا على العشب يتطلع إلى الطريق اللامع وهو ينحني عند الأفق ، خلال منظار مقرب وضعه امامه على الأرض .. وكان قد قضى في هذا الوضع اكثر من ساعتين ، دون أن يظهر أثر لما كان يرقبه..

واخيرا تنهد في ارتياح ، ثم وثب على قدميه وراح يطوي المنظار ، ويخفيه في حفرة قريبة ومالبث ان مضى في تمهل إلى جانب الطريق ينتظر السيارة التي راى انوارها منذ هنيهة وظل ساعتين يرقب وصولها ووقفت السيارة بجانبه فانبعث منها صوت يقول :

– هل هذا انت يا " مفكرسون " ؟ .

فاجاب الرجل بلهجة الإيقوسيين الجبليين : اي .. انا نفسي ..

– وما الدليل على ذلك ..

– هذا " المفتاح الفضي " ، شارة الجمعية .. ولكن من انت .. لقد كنت انتظر الدكتور " بلفاج " نفسه .

– إني ادعى " مريديت " ، وإني واصدقائي نعمل لحساب الدكتور "بلفاج" ولولا انه مريض لحضر معنا .

– حسنا .. إن كل شيء على مايرام ، ولكني ارجو بعد ان تنتهي مهمتكم ان تحملوني في سيارتكم إلى قرية " انفرانس " لاقضي ليلتي هناك ..

ومضى امامهم في الممر المتجه نحو الكوخين ، على حين قال "مريديت" بعد قليل :

– حسنا .. سوف ناخذك معنا إلى " انفرانس " . ولكن لاتنس اننا جميعا مسلحون ، وذلك في حالة ماإذا ..

فقال الأيقوسي بهدوء : هكذا .. ما الذي تعنيه بذلك ؟ .

وكان الظلام قد ارخى سدوله وغدا كثيفا لا يسمح بالرؤية ، على حين غمغم "جريجوروف " يقول للالماني : هذا الرجل ثرثار يا " إميل ".. ولكن ماهذا الثوب النسائي الذي يرتديه ..

وقبل ان يجيبه " فايت " ، انبعثت خلفهما قهقهة غريبة ، فدمدم الروسي حانقا :

– لو ضحكت مني مرة اخرى ايها الأسباني القذر فسوف احطم رأسك..

فقال " كورتيز " : إنني لم اضحك قط .. ولكن ابعد يديك عني او

اطعنك بخنجري ..

– إنني لم المسك ايها الجرذ الحقير ..

– ومن الذي فعل ذلك إذن ؟ .. لقد شعرت بيد تمسح على وجهي ..

وكان " مفكرسون " هو الذي اجاب هذه المرة :

– يبدو ان اصدقاءك يامستر " مريديت " لايحبون الاشباح التي تمتلئ بها هذه المنطقة .. ولعلهم على حق في ذلك .. وربما كان من حسن حظهم – او من سوئه – ان يسمعوا اللحن الجنائزي الذي تعزفه هذه الاشباح ..

فغمغم " مريديت " : دعنا نسرع بالله ، فهذا المكان يثير اعصابي ..

وفتح " مفكرسون " باب الكوخ الصغير ، واضاء المصباح وهو يقول:

– هاكم المخترع " جراهام كالدويل " ، وزميله الميكانيكي ..

وكان الرجلان يجلسان متقابلين إلى المائدة ، وهما يغطان في سبات عميق، وقد وضعا راسيهما فوق اذرعهما .. على حين كانت امامهما زجاجة شراب فارغة .. ثم اردف :

– لقد وضعت شيئا ما في شرابهما ..

– حسنا فعلت .. واين الرسوم ..

– في هذا الدرج ، إلى اليسار .. وهي كاملة إذ فرغا منها بالامس ولذلك بعثت ادعو الدكتور " بلفاج " ..

فاسرع " فايت " واخرج الرسوم من الدرج فدسها في جيبه وعندئذ قال "مريديت " :

– معذرة ياصديقي .. ليس كلها .. اعطني النصف معي ..

فدمدم " فايت " حانقا : يا لك من احمق .. اتظنني اخادعك ..

فانضم الاسباني إلى " مريديت " في طلب جزء من الرسوم ، ولم يرد " فايت " ان يثير ريبتهما فاعطى " مريديت " ثلاثة اوراق منها ، وضعها هذا في جيبه وعلى وجهه علامات الرضا .. وكان الايقوسي ينظر من نافذة الكوخ وهو يمد ذراعيه امامه ، فصاح به " فايت " :

– ما الذي أصابك انت الآخر ؟ .

– انظر .. إنه اللهب الراقص .. لهب الموت ..

فسرت القشعريرة في جسم الرجال الأربعة ، على حين استطرد الأيقوسى:

– سوف تسمعون الآن اللحن الجنائزي ..

وقد صح حدسه .. إذ ارتفعت من بعد انغام حزينة كانت تنبعث من (موسيقى القرب) التي اشتهرت بها " سكوتلندا " ..

ولكن " فايت " تغلب على الفزع الذي الم به ، وقال بعد ان سكتت الموسيقى:

– مهما يكن الأمر فإننا لن ننصرف حتى تتم مهمتنا .. ولابد ان نحرق الطائرة .. فاين هي ؟ .

– هاك حظيرتها هناك .. وقد اعددت البترول ..

– إذن أسرع بنا قبل ان تعود هذه الموسيقى اللعينة .

– إنها لن تعود ثانية .. فإن موكب الأشباح لايمر هنا إلا مرة واحدة فقط .

ومضوا جميعا خلفه حتى حظيرة الطائرة ، فراوا جسما كبيرا داخلها يشبه طائرا يمد جناحيه .. فراح " فايت " و " مريديت " يريقان البترول فوقها وحولها، وبعد لحظة كانت النيران تندلع إلى السماء في وهج أحمر ساطع .

ولبثوا يرقبون هذا المنظر حتى تحولت الحظيرة إلى رماد فانثنوا عائدين إلى حيث كان المخترع وزميله .

وكان الظلام قد عاد إلى حلكته بعد ان خبت النار .. وعندئذ سمع "فايت" وكان يسير في المقدمة ، صوتا مكتوما تبعته صيحة عالية وسباب متلاحق ، فعاد " فايت " إلى الوراء وهو يحدق في الظلام دون ان يستطيع رؤية ماحوله.. بينما كان صوت يصيح في حشرجة : إلى القاتل .. إنه يقتلني ..

وكان " جريجوروف " يصيح كوحش كاسر : أيها الحيوان القذر ..

اتريد ان تطعنني بالسكين الآن .. بعد ان حطمت وجهي بالهراوة ..

وكان الأسباني يقول في صوت متحشرج : إنني لم اقرب وجهك .. ولم اقترب منك البتة .

فاوقف " فايت " عراكهما . وتقدم " مفكرسون " فاضاء مصباحا كهربائيا راوا على ضوئه الدماء تسيل من وجه " جريجوروف " وقد تهشم انفه .

وعاد الروسي يقول :

– من الذي ضربني إذن ؟ ..

فاجاب الأسباني : اقسم انني لم اقربك البتة .

وعندئذ تدخل الأيقوسي " مفكرسون " قائلا : ربما كانت روحا شريرة هي التي فعلت بك ذلك .. ولك ان تحمد الله إذ تركتك على قيد الحياة .

فراح الروسي يسبه ويسب الأرواح الشريرة معا .. ومالبثوا ان مضوا جميعا نحو الكوخ الذي به الرجلان فحملوهما إلى الصندوق الملحق بالسيارة ، وبدات رحلة العودة تتجه نحو الجنوب ..

فلما تركهم الأيقوسى في قرية " انفرانس " ، كان " فايت " هو الذي يقود السيارة وقد جلس " كورتيز " الأسباني بجانبه على حين جلس "جريجوروف" و " مريديت " في الجرارة الخلفية مع الرجلين الفاقدي الوعي الصواب .

وكان الليل ساكنا لايعكر صفوه شيء .. كما كانت الرحلة مملة ثقيلة.. وانتاب الأسباني الملل فاسلم جفونه للنوم وراح يغط في سبات عميق .. وعندئذ عاد "إميل فايت " يفكر في الخطة التي اعدها لمثل هذا الموقف من قبل فاخرج مفتاح المحرك في هدوء ، وضرب به " كورتيز " فوق مؤخر راسه ضربة اودعها كل قوته اصابت من الأسباني مقتلا فاختلج جسمه مرة واحدة ثم سكن إلى الأبد ..

واوقف " فايت " السيارة ، ثم اخذ مسدس الأسباني من جيبه ، ومضى إلى الجرارة ففتح بابها ونادى الروسي وزميله وكانا نائمين ..

فاستيقظ " مريديت " أولا يسال عن الخبر .

فقال " فايت " :

– لقد توقفت السيارة ولكني لم أعد اقوى على إدارة المحرك .. تعال ساعدني..

فامسك " مريديت " مفتاح المحرك في يده ، وعندئذ اطلق عليه "فايت" الرصاص فجاة فخر صريعا لوقته .

وذعر الروسي ، ولم يدر سببا لمسلك شريكه الالماني ولكن هذا أطلعه على سبب اقترافه الجريمتين حتى يتخلصا من " مريديت " والأسباني ويستاثرا بالاختراعين لنفسهما .

واخيرا تعاونا على حمل الجثتين إلى ناحية من الطريق بعد ان اخذا الرسوم من جيب " مريديت " .. ووضع " فايت " مسدس الاسباني في يده ، بحيث يبدو تصوير الحادث كان الرجلين تشاحنا ، فضرب "مريديت" الأسباني بمفتاح المحرك وعندئذ اسرع الآخر بإطلاق الرصاص عليه فخرا صريعين لوقتهما ..

وقبل ان يتركا الجثتين ويكرا راجعين إلى السيارة ، سمعا أزيز طائرة فوقهما على ارتفاع منخفض .. وكان الصباح يرسل اشعته الأولى وقتئذ، فرايا طائرة حمراء فوق راسيهما كما رايا الطيار يميل في مقعده ويلوح لهما بيده .. غير أن وجهه كان مختفيا خلف القناع الجلدي السميك فلم يستطيعا تمييزه .

- ٩ -

ماكاد الرجلان يعبران القنطرة المعلقة المؤدية إلى القصر حتى قابلهما "هوسكنز" في المدخل وهو يضحك كالمجنون ويلوح لهما بورقة في يده قائلا:

- هذا هو سر الغاز .. لقد خضع ذلك اللعين " والدرون " أخيرا ..

فتالقت عينا " الألماني " فرحا وقال :

- حسنا .. وها هو ذا بالمثل " جراهام كالدويل " وزميله وقد حصلنا على رسوم الطائرة ..

فنسي العجوز وقاره وراح يرقص طربا .. وهو يغمغم :

- سوف ترسل صور هذه الأوراق بالبريد الليلة إلى جميع الدول ..

ولما أفاق .. قال :

- ولكن أين " مريديث " و " كورتيز " ؟ ..

- لقد صادفنا حادث عجيب يا مستر " هوسكنز " .. إذ وقفنا

بالسيارة في اثناء الليل للراحة فلما عدنا إليها ظننت انهما مع "جريجوروف" في الجرارة ، بينما ظن صديقي انهما في السيارة معي على حين انهما كانا قد توغلا قليلا في الغابة .. ولاريب انهما سيلحقان بنا عما قريب ..

– وما الذي اصاب وجهك يامسيو " جريجوروف " ؟

– سقطت فوق إحدى الصخور فجرحت ..

– يا لله .. إنها ليلة حافلة بالحوادث ..

فقال " فايت " في هدوء :

– إنها كذلك يامستر " هوسكنز " . ولكن اين الطبيب ؟ .

– لقد ذهب إلى شركة التامين لامر يختص بحريق " هارتلي كورت ". ولا يلبث ان يعود .. اما "والدرون " فهو في القبو والمخبر وخطيبته في حجرتهما..

– هل لي ان ارى طريقة صنع الغاز يامستر " هوسكنز " ؟ .

– بلا شك .. هاك هي .. وسوف انسخ منها النسخ اللازمة لتوزيعها على الدول ..

– هذا إذا اتسع لك الوقت يامستر " هوسكنز " ..

وانقض على العجوز فطرحه ارضا ثم قام بمساعدة " جريجوروف " بإحكام وثاقه وحملاه إلى القبو .. ثم عادا فحملا " جراهام " وزميله إلى القبو كذلك..

وعادا إلى الردهة العليا ليتفقا على الخطوة التالية .. وعندئذ رايا شخصا يجتاز القنطرة في طريقه إلى القصر .ولم يكن سوى "كالنسكي"..

فدهش الألماني وذهب إلى الباب ففتحه وهو يقول :

– هذا شرف لم اكن اتوقعه ياسيدي .

– لاتتوقعه .. وماذا تعني بذلك .. لم يكن بعد رسالتك العاجلة إلا ان اخف بنفسي إلى الحضور ..

– رسالة عاجلة .. إنني لم ارسل إليك شيئا .

– إنه الدكتور " بلفاج " الذي حدثتني عنه .. لقد حضر للفندق وابلغني انك تريد ان احضر للقصر في الحال .

– مادام الأمر كذلك ياسيدي فهاك الرسوم والتصميمات التي اتفقنا عليها .

فتناول " كالنسكي " الأوراق وراح يفحصها قليلا ، وما لبث ان قال :

– حسنا يا هر" فايت " .. إليك عشرة الآلاف جنيه .. فاخذ " فايت " النقود ودسها في جيبه على حين استطرد " كالنسكي " :

– ولكن ماذا فعلتم بالمخترعين ؟

– إنهم في القبو جميعا مع ذلك المأفون " هوسكنز " ..اتحب ان تراهم؟.

فوافق " كالنسكي " ، على حين كان " جريجوروف " يتحرق شوقا إلى الفرار باسرع مايستطيع ولكنه لم يملك إلا ان يوافق فهبطوا جميعا إلي القبو .. وهناك راح " فايت " يشرح لـ " كالنسكي " كيف يعتزم ان يقضي عليهم جميعا.

ولم يكن قد اتم حديثه عندما سمع صوتا فيه بحة يهتف من اعلى :

– " فايت " .. " فايت " .. اين انت ؟

فجمد الألماني في مكانه لحظة ، فقد كان الصوت صوت الدكتور "بلفاج" .. ولكنه صاح به إنهم في القبو فجاء الطبيب يهبط الدرج على عجل ..

وعندئذ قال " كالنسكي " في قلق :

– من هذا ؟

– إنه الدكتور " بلفاج " ..

– ولكنه ليس الرجل الذي حضر إليّ هذا الصباح. مامعنى ذلك كله؟.

فاحس " فايت " كان يدا تمسك بقلبه وتعصره . واستبد به قلق مفاجئ لم يدرك له كنها .. على حين كان الدكتور " بلفاج " يتكلم في صوت متهدج بكلمات لم يفهم منها " فايت " إلا عبارة " الهياكل

البشرية".

فصاح به :

– ماذا تقول ؟

– اقول إن البوليس قد اكتشف أن هيكلين منهما هيكلا امراتين ..

– ماذا .. ماذا قلت .. ؟

وعندئذ انبعثت تلك القهقهة المروعة مرة اخرى .. فدارت الدنيا بالالماني وراح ينظر حواليه كوحش يوشك ان يسقط في الشرك .. وتلا ذلك صوت يقول بالالمانية :

– هل كانت امسية موفقة يا "هر" فايت " ؟ ..

هذه الكلمات التي سمعها امام مدخل فندق " ريتز " في " لندن " ترى هل فقد صوابه فجاة ؟ .

ولكنه سمع بعد ذلك صوتا مالوفا .. وكان يقول :

– يسرني ان نلتقي ثانية يا "هر" فايت " .. هلا صعدت .

كان ذلك صوت مستر " ارلو " الذي تركوه حبيسا في حجرة العمليات وقد حسبوه مات في الحريق ..

وصعد " فايت " والآخرون الدرج كانهم في حلم مروع فإذا بالحجرة تموج بالرجال .. " ستانش " و " داريل " و " جريجسون " ، وغيرهم .. كما راى " دوريس فينابلز " و " لوفليس " ..

ولم يجد " فايت " مايقوله سوى هذه الكلمات التي كان ينطق بها في تلعثم:

– كيف .. كيف استطعتم .. الفرار ؟ ..

وكان اهتمامه بان يسمع الجواب من الشره بحيث لم يشعر بالرجال الذين كانوا يضعون الاصفاد حول رسغيه . وتحول " لوبين " إلى "كالنسكي" قائلا: – يجدر بك ان تنسحب من هنا ياسيدي قبل ان يقبض عليك البوليس.. ولكن هات الأوراق اولا ..

فاخرجها " كالنسكي " من جيبه في مذلة .. ومالبث ان غادر الحجرة مطاطئ الراس على حين تقدم " لوبين " فاخذ النقود من جيب " فايت "

ودسها في جيبه والألماني ينظر إليه دهشا ..
واستطرد " لوبين " قائلا :
– لعلك لاتعرف بعض الموجودين هنا .. فدعني اقدم لك المستر "جراهام كالدويل" الضابط المخترع ، وزميله .اجل مستر " جراهام كالدويل " الحقيقي يا هر" فايت " لا ذلك الذي حملته إلى هنا وسجنته في القبو .. اما الرسوم التي بعثها إلى " كالنسكي " فهي رسوم طاحونة هوائية كما ان طريقة صنع الغاز التي اخذتموها من "والدرون" لم تكن إلا طريقة صنع المنفحة التي تستخدم في صنع الجبن .
وتحول إلى "جريجوروف" قائلا في لهجة رجال الجبال الايقوسيين :
– كيف حطمت الاشباح انفك يامستر " جريجوروف " ؟
وعندئذ ادرك الرجل ان " مفكرسون " لم يكن سوى هذا الرجل متنكرا..
وعاد " لوبين " يقول ..
– لقد صفعتني يا " جريجوروف " وكنت مقيدا لا استطيع حراكا .. فكان ينبغي ان احطم وجهك ..
واستطرد يقول في ابتهاج :
– لقد تتبعتكما اينما ذهبتما .. بل لقد كنت اوجه حركاتكما بنفسي.. ولعلكما في شوق لمعرفة ماخفي عليكما ، فاسمعا إذن . لقد كانت الرسالة الحقيقية التي القاها الكابتن " لوفليس " على نافذتي تحمل هذه العبارات :
"ماري جان جسر . ج . ج . ١ . ٥" ولكني لم استطع فهمها إلا بعد فوات الأوان .. اي بعد ان سجنا في حجرة العمليات .. ادركت عندئذ أن "ماري جان " هو ذلك العقار المخدر المكسيكي .. كما ان ج ج . هو اسم أحد جياد السبق الشهيرة اي .. مركز قيادة العصابة وعندئذ جئت إلى هنا وعرفت كل شيء عن اعمالكم البشعة .. وثمة امر آخر لم اشا ان افضي به إلى مسيو " كالنسكي " فإنني كنت اقوم بخدمته ليلة اجتماعكما بالفندق متقمصا شخصية " هنري " رئيس الخدم بعد

ان رشوته بالمال ..

وسوف ادعكما الآن موثقين ، حتى يحضر رجال البوليس لسؤالكما عن مصرع " مريديت " و " كورتيز " .. فإنك - هر" فايت " في غمرة انفعالك وضعت المسدس في اليد اليسرى للأسباني .. كما انني شهدت جريمتيكما وانا بالطائرة .

وكان الرجلان يسمعان هذه الأقوال وقد جحظت عيونهما دهشة .. واخيرا غمغم " فايت " : ولكن كيف خرجتم من الحجرة ؟ .

- إنني ماهر في فتح الأقفال يا هر" فايت " ..

ثم اقترب منه ، وهو يقول :

- هل سمعت أن قفلا قد استعصى فتحه على " أرسين لوبين " ؟ !

(تمت بحمد الله)